السرد القصصي
عند حافظ إبراهيم

الدكتورة
وجيهة محمد المكاوي

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دار الجديد للنشر والتوزيع

٨١٠.٩٠٢٣
ا . و

المكاوي، وجيهه محمد .

السرد القصصي عند حافظ إبراهيم / وجيهه محمد المكاوي.- ط١.-

دسوق : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع ،

١٥٢ ص ؛

تدمك : ٩ – ٦٩٠ – ٣٠٨ – ٩٧٧ – ٩٧٨

١. السرد الأدبي (أدب عربي)
٢. القصص العربية – تاريخ ونقد.
أ- حافظ إبراهيم، محمد حافظ بن إبراهيم فهمي، ١٨٧١-١٩٣٢.

رقم الإيداع : ٩٣٥٩

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥-
٠٠٢٠١٢٨٥٩٣٢٥٥٣
elelm_aleman٢٠١٦@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com
E-mail:

الناشر : دار الجديد للنشر والتوزيع
تجزءة عزوز عبد الله رقم ٧١ زرالدة الجزائر
هاتف : ٢٤٣٠٨٢٧٨ (٠) ٠٠٢٠١٣
محمول ٦٦١٦٢٣٧٩٧ (٠) ٠٠٢٠١٣ & ٧٧٢١٣٦٣٧٧ (٠) ٠٠٢٠١٣
E-mail: dar_eldjadid@hotmail.com

محتوى الفهرس

الباب الأول :

حياة حافظ إبراهيم والعوامل المؤثرة فيها

ولـــد حافظ إبراهيم ١٨٧٢ وتوفـــى عـــام ١٩٣٢

نشأ نشأة تدخل اليتم في تشـيـيد أجزائهـا ، وحينمـا انتقـل للعيش مع خاله لم يطـب المقـام لــه فـالتحق بـالجيش ربمـا رغبة في سلوك مسلك البارودي ، أو أملاً فـي الحصـول علـى مصدر للدخل ثابتـاً ، والأجـدى أنــه كـان خاضـعاً فـي ذلـك لطبيعته الملول وهو لم يكن يميل إلى التقييد بمثـل هـذا الـدأب بل كان كالطير ينطلق مغرداً بين مختلف الأشجار والأغصان[١]

من أين لحافظ بالصبر وبذل الجهـد وهـو ملـول بطبعـه لا يصبر على عمل مـنظم ، وهـي طبيعـة لازمتـه حتـى وفاتـه يشهد بها أناس عاشروه وصاحبوه في عمله وسمره [٢] .

عاش حافظ في وقت تزاحمت فيهـا الأحـداث وصـبت فـوق رأس مصر الكوارث لكنه تلقاهـا تلقـى المـأزوم. فقـد كانـت حياته سلسلة متصلة من العوز والاحتياج ، فما كان يتراءى

---

(١) شعراء الوطنية في مصر تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التى نظموا فيها قصائدهم عبد الرحمن الرافعي صـ ٢٣ الدار القومية للطباعة والنشر ط ١٩٦٢ .

(٢) حياة حافظ إبراهيم الشاعر الثائر أحمد محفوظ – القاهرة مؤسسة نصار للتوزيع والنشر صـ ٤ .

أمام عينه منظراً إنسانياً يثير في النفس الألم إلا وتداعت في نفسه المناظر المشابهة ، وتوالى على ذهنه الأحداث الصعاب التي مر بها، لكنه لبراعته وامتلاكه ناصية البيان استطاع أن يصبه في قالب تعبيري يلفت الأنظار، يقول : (١)

لم أقف موقفي لأنشد شعراً   صب في قالب بديع النظام

إنما قمت فيه والنفس نشوي   من كؤوس الهموم والقلب دامى

ثم يقول :

فتقلبت في الشقاء زمناً   وتنقلت في الخطوب الجسام

ومشى الهم ثاقباً في فؤادي   ومشى الحزن ناخراً في عظامي

هذه القصيدة أنشدها بدار الأوبرا ١٩١١ في حفل " جمعية رعاية الأطفال " ولا ندري أيؤرق من البؤس الذي يصيب اليتامى أم أرقه صب على الموقف فنظم هذه المنظومة. !!

ابتلع حافظ أخدود الحزن الذي حفر بأعماقه بمعول اليتم والفقر فعلته ندوب ظروفه ، ظلت تؤرقه بوخزها ما حيا .

ونص على ذلك في ترجمته للبؤساء قائلاً في المقدمة " وضعه صاحبه وهو بائس وعربه مُعرِّبه وهو بائس ، وما عرَّبته لولا اتحادنا في الألم وتشابهنا في الشقاء " (٢) .

---

(١) ملجأ رعاية الأيتام ديوان حافظ جـ ١ صـ ٢٨٣ .
(٢) حافظ إبراهيم البؤساء القاهرة مجلة الهلال ١٩٥١ .

فترة الشباب : من أكثر الحقب تأثيراً في حياه الإنسان عامة حيث ينشط الجسم والذهن ويجول في كل نواحي الحياة .. حتى إذا ما تقدم به العمر بدأ يدب في القوة الضعف ، و في الحماس الفتور .

أما حافظ : فالشباب كل حياته ، حتى إذا ما تقدم به العمر خلع ثوب الكد والتحصيل " الثقافي " وعاش مجتراً ما حصله في الأيام الخوالي ، ففي صدر شبابه أقبل على الكتب يقطف ثمار المعرفة قطفاً ، ويلتهمها التهاماً ، ويتكبد المشقة في الحصول عليها حتى إذا ما تقلد مفتاح منبعها ومصابها " **دار الكتب** " عافتها نفسه وأغلقت قريحته الباب دونها ، فعندما عين في دار الكتب والتفت حوله كتباً لا أول لها ولا أخر ازداد زهده فيها " لم يقرأ حافظ من عام ١٩١١- ١٩٣٢ كتاباً ذا قيمة ولولا ذاكرته العجيبة وقوة حفظه لما استطاع أن يتصيد هذا الكلام البليغ ، فقد طالت ومرت عليه السنون وهو لم يقرأ من عهد بعيد شعراً جزلاً ولا كلاماً بليغاً " (١)

---

(١) شعراء الوطنية فى مصر صـ ٢٢٨ .

حافظ الحافظ : الذاكرة القوية والألمعية ، الذهن الحاضر واللفظ المواتي هي أدوات حافظ الشعرية ومواهبه الذاتية التي لفتت إليه نظر النكرة والمعرفة ، البسطاء والعظماء ، فقد كان " حلو النادرة ، حاضر البديهية " [١] فالتفت حوله كثير من طلاب المعهد الأحمدي يأنسون بعذوبة كلامه وشعره وطرائقه ، وهو متغبط مما يلقى من اهتمام، ويدفعه هذا إلى زيادة التنقيب والاطلاع، فيزداد حفظاً وعلماً يوماً بعد يوم .

كان حافظ يعرف ذلك في نفسه ، جاذبية حديثه ، وحسن مجلسه ، فكان يخالط علية القوم ويصاحبهم لكنه لم يشعر أبداً أنه واحد منهم يقول مخاطباً الحارس الذي منعه من الدخول على " سعد زغلول " على الرغم أن " سعد زغلول " يشتهي حديثه كما يشتهي عودة الشباب[٢]

قل للرئيس أدام الله دولته　　　بأن شاعره بالباب منتظر
إن شاء حدثه أو شاء أطربه　　　بكل نادرة تجلى بها الفكر[٣]

غنيت ذاكرة حافظ ، لكن عقله ظل فقيراً فأعتمدت شاعريته على الذاكره من جهة ، وعلى الحياة المحيطة به من جهة أخرى

---

(١) المرجع السابق صـ ٣ .
(٢) زكى مبارك و نقد الشعر صـ ٧١ كريمة زكى مبارك ط ١ – ١٩٨٧ الزهراء للإعلام العربي .
(٣) ديوان حافظ جـ ١ قالها للاستئذان على المغفور له سعد باشا نشرت عام ٢٥ نوفمبر ١٩٢٤ .

استمد موضوع شعره من هذه الحياة ، واستمد صور شعره من تلك الذاكرة ، وكان ثقافة حافظ العقلية محدودة فلم ينفذ عقله إلى طبائع الأشياء ولم يصل إلى أسرارها فعجز عن إجادة الموضوع ولكن ذاكرته كانت قوية جداً ، وكان حظه من الحفظ غريباً ، وكان قد ابتكر لنفسه سليقة عربية أو قل سليقه أعرابية ، فأتقن الصورة وبرع فيها .

" كانت نفس حافظ بسيطة يسيره لا حظ لها من عمق ولا تعقيد وكانت الخصال نفسها محببه إلى الناس مؤثرة فيهم ، وكان شعر حافظ صورة صادقة لهذه النفس البسيطة اليسيرة فأحبوه كما أحبوا مصدره وأعجبوا به كما أعجبوا بنبوغه " (١) .

وعرف معاصروه قوة ذاكرته حتى قالوا " لو كتب حافظ ما يحفظ لفاق أبا تمام في اختياره " ديوان الحماسة " لذا كان حافظ يتميز بذوق العصر ، وروح العصر ، لحافظته القوية التي تسعف ذوقه وتلبي اختياره ، فيما يختار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ويبقى في ذاكرته ثم يتجلى في شعره .

كان هناك مجلسان يتردد عليهما حافظ : مجلس يضم عظماء العصر أمثال الشيخ "محمد عبده" واتصال حافظ بمحمد عبده حوله إلى قوة طاغية في مناصرة اللغة العربية " (٢)

---

(١) حافظ وشوقى طه حسين صـ ١٧ ط ٣ ـ ١٩٩٧ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٣ .
(٢) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٦٤ .

" ومصطفى كامل" ، "سعد زغلول" ، "حفني ناصف" حيث يطرحون قضايا جادة ويتبادلون الآراء والثقافات ...ومجلساً للترويح عن النفس بالمداعبة والطرفه والنكات المستملحة وكان يعقد في القهاوى والملاهى والحانات ، يلتقى فيها حافظ مع بعض الظرفاء أمثال محمد البابلى ، إمام العبد وهم يمثلون الطبقة الشعبية التي استمد منها حافظ كثير من طرائقه في التعبير ، ومع اختلاطه بعلية القوم هؤلاء إلا أنه قد سيطر عليه إحساس بالهضم ، وأن تواجده في الصحبة لظرفه وملحه وحسن جلسته، وكأنه هو المعنى بقول الشاعر:

ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة   ليضحك ربات الحداد البواكيا

شخصية حافظ : يغلب على حافظ كثير من الأمور والأحوال تبكيه وتضحكه ، تفرحه وتحزنه ، فقسمت نفسه قسمين وولدت لديه شخصيتين :

الشخصية الأولى : قاتمة الملامح ، شاكية ، ساخطة

الشخصية الثانية : طلقة الأسارير مقبلة على الحياة .

أما الشخصية الأولى فلا يلتقى بها إلا حافظ ، كلما أوى إلى داره، وخلا إلى نفسه، وراح يعمل ذهنه في ماضيه، وحاضره ومستقبل أيامه ، وينظر في حصاد ما مضى من عمره ، فيجد يده صفراً .

وأما الشخصية الثانية فيلتقي بها حافظ جلساؤه الذين يحفون إلى رؤيته ، رغبة في ظرفه وعذوبة حديثة وطريف نوادره ، ويصف أحمد أمين هذا التناقض قائلاً " أن طبيعة حافظ مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي ، كان مظهره الخارجي ضاحكاً مرحاً ، لا يرد الرائي حتى يضحك من ضحكه ، و لا يكون في مجلس حتى يملؤه سروراً وضحكاً ، وكان في أعماق نفسه حزين كالشمعة تضئ وهى تحترق ، أو كالممثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات [١]

قال كثير من النقاد إن روحه المرحة الفكهة تخلت عن شعره يقول د . عبد الحميد سند الجندى " إننا نلاحظ أن شعر حافظ قد خلا أو كاد من الفكاهة التي عرف بها في المجالس والسوامر ، ولا نجد لهذه الروح أثراً في شعره إلا إشارات قليلة جداً أشبه بالدعابة الحقيقية منها بالنكتة والفكاهة " [٢] .

وهو هنا وافق رأى أحمد أمين الذي قال عن حافظ " لو أتيح له أن يدخل كثيراً من فكاهته في شعره لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير[٣] وهذا ليس صحيحاً فدعابة حافظ " شغلت معظم باب الإخوانيات في شعره ، وتعدته إلى مواضع أخرى من هذا

---

(١) حياة حافظ إبراهيم أحمد محفوظ مؤسسة نشار للنشر القاهرة . ب . ت صـ ٣١ – حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته الذاتية السعيد محمود عبد الله – بتصرف .
(٢) حافظ إبراهيم د / عبد الحميد سند دار المعارف صـ ٤ .
(٣) ديوان حافظ المقدمة صـ ٣٨ .

الشعر ونستطيع أن تعرف حياة حافظ وأحداثه من شعره ، قال أفتوشنكو " سيرة حياة أى شاعر هي شعره ، وما خلا ذلك مجرد هوامش فالشاعر لا يكون شاعراً ما لم يره القارئ بكل أحاسيسه ، وكل أفكاره وكل أعماله كأنما يضعه القارئ فوق راحة يده " (٤).

وهذا ما حدث مع حافظ. فالشظف لم يخلق ترفاً ...

لم نجده يتحدث عن ظاهرة تشع بهجة ، أو منظراً يفيض حيوية ، ويلتقط لمحة تنبض بالحياة فسلسلة المآسى التي عانها في حياته لا حقته على لسانه وعينه ، فيلتقطا المآسي رؤية وحديثاً ، كذلك شغل حافظ برثاء زعماء الأمة ، والمجد الوطنى ، فكل يوم يبتلى بفقد عزيز ، فشكلت مراثيه قرابة نصف شعره ، ولا يعد هذا مطلباً اجتماعيا – كما أشيع – وإنما الأقرب أنه يجد نفسه في الحزن ينعى الجمال ولا يستلذه ، ومشغول ببكاء " **ليلى المجتمع** " غافلاً عن " **ليلاه** " ، وهذا الذوبان في المجتمع وتناسى الأنا ظهر في شعره " فالشعر مرآة النفس تتطلع عليها أخيلة الشاعر وأفكاره وترتسم في وضوح وصراحة ينبئنك بطبيعته وسجاياه " (١)

---

(٤) الرؤيا الإبداعية فى شعر الهمشرى د / عبد العزيز شرف سلسلة إقرأ ع ٤٦ ديسمبر ١٩٨٠ دار المعارف صـ ١٤ .

(١) المرجع السابق صـ ٢٣ .

شوقي وحافظ – صدر الشباب

يصعب أن نجد كتاباً يتحدث عن أحـــدهما دون أن يتطـــرق للحديث عن الآخر ، على الرغم من تفاوت الصفحات المحبرة فـــي حق هذا ، أو حق ذلك ، واعترف حافظ بهذا التلازم قائلاً إن الناس ظلوا يقولون في أكثر من عشرين سنه شوقي وحافظ كما يقولون بيض وسميط " (٢)

وقد أعلن شوقي أنه آثر أن يكون المرثى

لقد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وكأن شوقياً كان يشعر في نفسه بالغبن الذي وقـــع علـــى حافظ على رغم ... مركزه الأدبي ، القومي المصري ، الذي وطن نفسه فيه للدفاع عن الأماني القومية والبلاد المصرية فـــي لغـــة مفهومة عربية فقال :

يا حافظ الفصحي وحارس مجدها وإمام من نجلـــــت من البلغاء

وغداً سيذكرك الزمان ولم يـــزل للدهـــر إنصاف وحســـن جزاء

هذا ما قاله شوقي بعد أن أطفأ الموت النار التـــي اشـــتعلت بين الشاعرين لتنافسهما .

(٢) زكى مبارك ونقد الشعر إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك صـ ٦٣ ط ١ ١٩٨٧ الزهراء للإعلام العربي

" كان التنافس بين حافظ وشوقي قد وصل إلى أبعد الحدود وزاد من خطر ذلك التنافس أن حافظاً كان رجلاً عــذب الــروح ، وكانت له على الصحفيين صلات يقلب بها أحقادهم علــى شــوقي حين يشاء " (١)

وعلى الرغم من ذلك أرسل شوقي وهو في منفاه قصــيدة لحافظ ومنها يقول شوقي :

يا ساكني مصر إنا لا نزال على عهــد الوفــاء- وإن غبنــا- مقيمينا

هلا بعثتم لنا من مــاء نهركم شيئاً تبل به أحشاء صادينــا

كل المناهل بعد النيل آسنــة مــا أبعد النيل إلا عن أمانينا

فأجابه حافظ بهذه الأبيات :

عجبت للنيل يــدرى أن بلبله صاد ويسقي ربا مصر ويسقينا

والله ما طاب للأصحــاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئــه وقد نأينا وإن كنــا مقيمينــا(١)

مما يدل على أنهما في قراره نفسهما كانا يشعران بالتجاذب وبالتألف والتوافق لطول العشرة لكن الناس كانوا دائماً ما يفلحون في تأجيج شعلة الاختلاف ليربح الشعر .

---

(١) المرجع السابق صـ ١٣٠ .
(١) نشرت عام ١٩١٧ ديوان حافظ إبراهيم جـ ١ صـ ١١٦ – ١٨٧ .

" ظهر حافظ وشوقي في عصر زاد فيه معرفة شباب النقاد بالأدب ماهيته ورسالته سبباً في أن تعرضا لكثير من النقد ، لكن كثيراً من هذا النقد انصب على شخصهما لا على إبداعهما ، وكان الأولي أن ينظر أولئك النقاد إلى إبداعهما في ضوء معايير موضوعية تميز الخبيث من الطيب [٢]

ووصف " طه " حافظاً وشوقياً فقال : هما أشعر أهل الشرق العربي منذ مات المتنبي وأبو العلا من غير شك " [٣]

شب شوقي شاعر القصر ، متنوع الإنتاج ، غذى خياله بالمرائى المتعددة ، وعركته الحياة بالأنماط المختلفة التي تعامل معها ، فراقت نفسه ، وترقرقت مشاعره ، أما حافظ فنشأ في شظف العيش يتهم بقوت يومه ، ومع ذلك اقترنا في الذهن ، واتحدا في الذكر " كما نلاحظ أن من فضل حافظ كان يفضله لأن شعره غذاء قلبه وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقياً فضله لفنه وخياله فشبيبة الوطنية أمامهم حافظ ، وشبيبة الفن أمامهم شوقي "ويتطلع الناس للصنوين فإذا ما أنشد أحدهم تطلعت النفوس "واشرئبت الأعناق لإنشاد الآخر ، فسرعان ما يستجيب نزولاً على رغبتهم وهروباً من تهمة العجزوقد أقر بذلك حافظ في مرثيته

(٢) حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته الذاتية السعيد محمود عبد الله طباعة مركز الدلتا .
(٣) المرجع السابق صـ ١٢٠ .

لتولستوي أنه رثاه انتهاجاً لنهج شوقي لا تأثراً به ، وفى شعر شوقي تدفق خيالي ، وخصب تصويري . حتى إن شعره " يأتي من وراء عينيه وسائر حواسه ، التي كانت تشبه المعمل الكيميائي تدخله أفكار الشاعر وخواطره فتخرج منه صوراً آخاذه تترائى أمام القارئ،وتخاطب ذهنه حتى يهم بلمسها لقوة تجسيدها .

أما حافظ فيرد معظم معانيه وخواطره عارياً مجرداً يقف والواحد منها الآخر ، فيحس القارئ صنعة شوقي وتفننه في تشكيل فكره وتلوينه ، ولا يحس هذه الميزة في كثير من شعر حافظ .

ومع ذلك أقر حافظ باقتران اسمه باسم أمير الشعراء ، وقال مرة معلقاً حينما أخبره زكى مبارك أنه رأه هائماً في الترام " في أي غرض يعالج هذا المخبول وانه يكره أن يقترن اسمي باسمه مع أن الناس ظلوا يقولون في أكثر من عشرين سنه شوقي وحافظ كما يقولون بيض وسميط " (١)

وقد كانا في البداية غزيرا الإنتاج ثم أصابهما الكسل لأسباب مختلفة .

---

(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٦٣ .

يقول طه حسين هذا الكسل العقلي أصاب شوقي وأصاب حافظ وقصر الشاعرين عن المكانة العليا التي كانا خليقين أن يبلغاها بطبيعتهما القويتين ، وكثيراً ما نعيت عليهما ولومتهما في ذلك ولكن حظ شوقي من هذا التقصير أعظم من حظ حافظ لأن شوقي هيئ له من وسائل الثقافة العربية والأجنبية ما لم يهيأ لحافظ ولأن شوقي هيئ له من النعيم وأسباب الثرى والراحة ما كان يستطيع معه أن يفرغ للدرس ساعات من نهار بين حين وحين ، على حين حرم حافظ كل شيء أو كاد يحرك كل شيء وعلى حين لم يكن حافظ يزعم لنفسه ما كان يطمح إليه شوقي من مكانه ومنزله في الشعر(١).

وقد بدأ شعر حافظ السياسي ١٩٠٤ أما شوقي فقد بدأ شعره السياسي عام ١٨٩٤ وانتهيا معاً عام ١٩٣٢ .

الأحداث – الشخصيات : هناك أحداث مؤثرة تركت علامات ضاعت ، وعلامات متبقية . فقد تقنن الدهر في رزء حافظ بمنغصات أسعدت الأدب ، وبقيت علامات متوهجة في الأدب الحديث ، وإن كانت فنيت آثارها بفناء حافظ وموته ، فلم يكن

(٢) حافظ وشوقى صـ ١٧٨ .

سعيد الحظ لتكالب الظروف عليه . وعلو نجم شوقي لازمه حياً وميتاً فعندما ماتا الاثنين وفرق بينهما أيام قررت شركة السجائر إنتاج علبتين من السجائر إحدهما مزينة بصورة شوقي بخمس قروش والأخرى بصورة حافظ بأربعة قروش . !!

وربما ساعدت شخصية حافظ على اعتلاء سوء حظه له ، فقد تخاذل في مواقف ثلاثة . فأخذ منه الشعب موقفاً :

أولها : حينما اعتلي السلطان " حسين كامل " أريكة العرش " كانت الحرب في تلك الأيام تجتاز مسالك شوائك ... فخاف حافظ وخاف نسيم عواقب المشي على الشوك ، أما شوقي فهتف بقصيدة رمزية شغلت الجماهير بالتفاسير والتأويل ، فعده المصريون شاعرهم الأول ، وزادوا إيماناً بعبقريته حين رأوا أن تلك القصيدة قضت عليه بالخروج من البلاد " (١)

ثانيها : أراد أن يؤلف جماعة من الشعراء يسميهم شعراء القصر " فلم يظفر بغير الإخفاق .... ثم غدر المتشاعرون بحافظ فورطوه في متاعب أفسدت ما بينه وبين القصر فساداً ليس بعده صلاح .

(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٧٧ .

ثالثها : أعد قصيدة لقصر الزعفران بمناسبة تحول الجامعة المصرية إلى جامعة أميرية [٢] بقصر الزعفران المجاور لعين شمس مقر الجامعة المصرية القديمة ... وكان فرحاً بهذه القصيدة التي عاني في نظمها وأقر أنه لن ينظم بيتاً بعدها ... لكن حدث خلاف على مقر قصر الزعفران واستبدلوا به الأورمان وبحافظ شوقياً [١]

وتحدث " زكى مبارك " عن محاولات ضم حافظ له في هذا التجمع الشعري ، فقد رفض زكى مبارك واعتذر قائلاً : " إن شيطاني لا يوافني إلا في ميدان الغزل والتشبيب ، ومن الصعب على أن أنظم شعراً في غير هذا الميدان ، وأنا تلميذ عمر بن أبى ربيعه ولم يكن عمر يجيد مدح الملوك .

قال حافظ : أنت أحمق

فقلت : علمني يا معلمي كيف أداوى هذا الحمق ؟

قال حافظ : ستمدح فؤاد العظيم

فقلت : أمدحه أجزل المدح بالنثر لا بالشعر ، فأقول فيه أعظم مما تقول ، والآفة الوحيدة هي آفة شيطاني وهو لا يوحى إلىَّ من الشعر غير الغزل والتشبيب .

---

(١) المرجع السابق صـ ٧٨ .
(٢) المرجع السابق صـ ٨٠ .

قال حافظ : أتكون أصدق مني .

فقلت : إني لا أجود بغير ما أملك ، وطاقتي الشعرية لا تسمح بغير ذلك الفن الذي تعرف ، فهل تريد أن تفضحني بين الشعراء ثم، ثم [1]

شخصيات مؤثرة : تأثر حافظ بشخصيات كانت ذات أياد بيضاء عليه مثل حشمت باشا الذي عينه بدار الكتب ، ولم يعد حافظ بعد مهموماً بنفقة الحياة، بل كان يصرف في بذخ ويعيش في ترف، " مصطفى كامل " محي الآمال العراض في الوطنية والتخلص من الاستعمار ودعوى مصر للمصريين ، والإمام الذي حوله الاختلاط به لشره في اللغة العربية ...

ورثى الثلاثة على الوفاء رثاءً حاراً

يفيض بالامتنان والدعوى بنزول الرحمات .

وشخصيات استحضرها من التاريخ لإحساسه بقربها منه أو تماثل وتشابه ظروف الحياة فقد استحيا "أبو العلاء" ويري أنه صنوه . شقاءً . وبؤساً . وحزناً .

يصف لنا إحدى حالات الأرق التي كانت تعاوده وتقض مضجعه "أخذت مضجعي وجعلت أعالج النوم ولكن طافت بالرأس طائفة من الأفكار، فباعدت ما بين الجفنين ، وأزعجت ما بين الجنبين فأقض على المضجع وحاربنى الفراش ، فقمت إلى الشمعة

---

(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٨٧ – ٨٨ .

فأشعلتها وإلى لزوميات أبي العلاء ففتحتها فوقـــع نظـــري فيها على قوله :

أيا دار الخســـار ألا خـــلاص فأذهب للجنـــوب أو الشمال؟
وظلم أن أحاول فيـــك ربحـــاً ولم أخرج إليك برأس مــــال

فاستشعرت في نفسي الراحة، وسرى عنى ما كنت أجده من الغم [١]، فالنفس الحزينة سيطرت على حافظ ، وجرثومة الحـــزن أفرخت حتى حولت حافظ من شخصية تنعي حظها العـــاثر جـــراء الأحداث التي بلي بها، إلى طابع مميز في شخصه ووتر أصيل من معزوفه ، لذا أعجب برسو الذي ماثله في الحزن والنظرة القاتمـــة التي تسيطر عليه .

فأمن بنفس لم يشبها الأســـي لعلها تعـــرف طعـــم الهنـــاء

مما يشير لتمكن الحزن منه بعد إنباته وتفريعه وإوراقه ثم غطى ثماره مسام جسده .

هناك منابع ثرة استقي منها حـــافظ شـــاعريته فقراءاتـــه للبارودى جعلته يقتفي أثره ... منهجاً ... وأسلوب حياة .

(١) ليالى سطيح حافظ إبراهيم صـ ٢٨ نقلاً عن حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته الذاتية صـ ٤٥ .

وتأثره بالأدب الفرنسي ، إلا أن المؤثر الأعظم الذي تبدي في أشعاره القرآن الكريم ... فقد جاءت الألفاظ القرآنية في شعره وتمثل بعباراته ، وزين بها أشعاره ، فأصبحت من سدة شعره ولحمته مما يدل على حسن تأتيه ومهارة اقتباسه " لقد وجد حافظ القرآن الكريم نبعاً ثراً فأكثر من وروده والإفادة منه . ولاشك في أن استدعاء عباراته وصوره وأخباره لما يلائمها من السياق الشعري دليل على البديهة الحاضرة ، والذاكرة المواتية وهما معاً من أهم أسباب نجاح الشاعر في صناعته "[١].

التراث التاريخي والأدبي ... كان شوقي يقول إن الشعر بين أبويه التاريخ والطبيعة وفى الوقت الذي أقبل شوقي فيه على التاريخ ووعاه في صدره مضيفاً به أعماراً إلى عمره ، وغرد معترفاً

وأنا المحتفى بتاريخ مصر من يصن مجد قومه صان عرضاً

نجد ثقافة حافظ التاريخية " الضحلة مظهراً أخر من مظاهر حياته المضطربة ، وطبيعته الشخصية والنفسية التي كان قوامها الفوضى ، وعدم الالتزام بنهج واضح محدد في الحياة ، يعتمد الانضباط والتوازن في كل شيء ، وكان من آثار هذا المنهج أن أدار حافظ ظهره لأوعية العلم ، لا يكاد يلوى على واحد منها وهي

---

(١) ديوان حافظ إبراهيم .

تحيط به في دار الكتب ، وإن أطلق ساقيه إلى حيث يجتمع الظرفاء لا يكاد يختلف عنهم لقراءة أو اطلاع " (١) .

وربما كان هذا سبباً لافتقاد أعماله الصبغة التاريخية الأصيلة، فلم يبدع في التاريخ المصري القديم سوي قصيدة " مصر تتحدث عن نفسها " التي يشيد بما في مصر ، يتغنى بأمجادها أن تشيع بين الناس على غرار ما يجري في المحافل ، ولم يقف متأملاً صفحة من صفحات هذا التاريخ الطويل على نحو ما فعل شوقي في كبار الحوادث في وادي النيل (٢)

ذاكرة حافظ كالبئر الممتلئ الذي يمتاح منه صاحبه كلما احتاج إليه ، وفى استحضاره خبراته ومعارفه يصبغ عليها صبغته فتبدو كوليدة قريحته ، ونتاج أفكاره ، وقد تأثر بأبي العلاء في شعره ونثره ، وكثيراً ما كانت ألفاظه عبارة عن تفريع وتفصيل لرؤية أبى العلاء كما في مرثيته في " سليمان أباظه " (٣)

أيهذا الثرى إلام التمادى ... بعد هذا أأنت غرثان صادى
أنت تروى من مدمع كل يوم ... وتغذى من هذه الأجساد

(١) حياة حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ١٥٥ .
(٢) الديوان جـ ٢ صـ ١٣٣ .
(٣) حياة حافظ صـ ١٥١

فقد استلهم فيها روح مرثية أبى العلاء في رثائه الفقيه الحنفى فقد يكتفي بالاستلهام والاقتباس وقد يلجأ إلى اللفظ الصريح

رأيت المصرى حين أرهقه ما حل بالناس من بغي وعدوان

لا تطهر الأرض من رجس من درن حتى يعاودها نوح بطوفان

يشير بذلك لقول أبى العلاء :

والأرض من للطوفان مشتاقه لعلها من درن تغتسل

ولا يكتفي حافظ بالألفاظ يستمدها ، وبالخيال يستعيره وبالأفكار يعتنقها أو يشير إليها ، فتراه وهو يرثى تولستوى يتطرق إلى جوانب عن سيرة شيخ المعرة من ضيقه بالناس وتجنيهم عليه (١) .

تأثر بأبي العلاء و أبي تمام في أربع قصائد ، كذلك تأثر بلبيد وبشار و الفرزدق .

(١) حياة حافظ إبراهيم أحمد محفوظ مؤسسه نصار للنشر القاهرة طبعة مركز الدلتا

الباب الثانـــي :
الأنواع الأدبيـة

تـداخل الأنـواع الأدبيـة : تنوعـت الأجنـاس الأدبيـة وتداخلت وصار من الصعب أن يحـتفظ جـنس أدبـي بأنواعـه بالخصائص المميزة، والسمات المحددة ، وقـد عـرف "فنسـنت" الأنواع الأدبية بقوله: " ليست الأنواع الأدبية سوي صـيغ فنيـة عامة لها مميزاتها ، وقوانينها الخاصة " [١] .

وليس معني الصيغة الأدبية للنوع الشـعري هـو الالتـزام الحرفي بمبادئ وأسس ذلك النوع الأدبـي وعـدم تلمـس تأديـة الغرض من خلال اقتباس خاصية من خواص الأجناس الأخـرى ، فإن الشاعر قد يضيق بالإطار الذي يعبر من خلالـه فيلجـأ إلـى التوسعة من إجراء حوارأو وصف الفضاء الذي يضمه،أو غيرهما من خواص الأنواع الأخرى ، فيتولد عن ذلك تداخل الأنواع الأدبية وتطورها الذي قال عنه فنست (... فالتطور عبارة عن مجموعة من الصيغ يأخذها النوع الأدبي كالملحمة والدراما وذلـك تحـت تأثير العبقرية والحضارات المختلفة) [٢]

(١) نصوص من العصرين الأموى والعباسي د/محمد أحمد العزب صـ ٥ .
(٢) المصدر السابق صـ ٩ .

ومعنى ذلك أن الشاعر قد يتمسك بأهداب عنصر من العناصر بشكل مستمر ويغير في عناصر أخرى (٣) .

يقول د / محمد أحمد العزب (٢)

ومع ذلك فالأنواع الأدبية ليست أشكالاً منفصلة ولا هياكل مغلقة ، وإنما هي أشكال تتعاطى كثيراً من ملامحها ، وتتقاطع في عديد من سماتها ... كما أن ترتيبها يعني تمييز الأقسام الكبرى "شعر- نثر"وتحت كل قسم أنواع،فالشعر قصصي.غنائي.درامي. تعليمي .

الغنائي : غزل هجاء ، ورثاء وقل مثل ذلك في النثر أيضاً

" معظم الأنواع الأدبية متداخلة وهي تنتمي إلى تقاليد فنية متغيرة مهما بلغ من استقرار المظاهر الشكلية لهذا النوع أو ذاك " (٣)

ولا شك أن القصة كان لها مكانة متميزة في أدبنا الحديث :

" كان لرواج القصة القصيرة وانتشارها بين قطاعات عريقة من المجتمع دور كبير في بلورة المفاهيم المختلفة ، وتوعية الناس لتحسس مشكلاتهم ، وطرح تساؤلاتهم، أو الإجابة عنها ، وتوضيح كثير من القضايا والمسائل القائمة ، وحين تطورت

---

(٣) وهذا ما حدث مع قصيدة حافظ ملجأ الأيتام حيث أبقي عنصر السرد فقط وأسقط مكوناً هاماً فى القصة وهو الحوار .

(١) المصدر السابق صـ ١١ .

(٢) الأدب وفنونه د / محمد عناني صـ ٢١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١ – ١٩٩١ .

القصة تبعاً لتطور العصر ، وتعقدت كل الأساليب التقليدية .... حينذاك أثيرت قضية الالتزام ، وأثيرت من جديد قضايا الفن للفن ، والفن للحياة ، إلى غير ذلك جدل ونقاش لا ينتهي " (٣)

(٣) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر أحمد منصور الزغبي صـ ١٦ إشراف د / سهير القلماوى رسالة ماجستير ١٩٧٦ .

الفصل الأول :
الشعر القصصي

ارتبط تواجد الشعر القصصي بالأجواء السياسة والنفسية للمجتمعات الإنسانية " بدأت حركة الأسي والحزن تغشى سماء القاهرة فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، بل وفى أثنائها ، مما جعل الشعراء يصدرون في شتى أغراضهم الشعرية عن روح مظلمة ونفس بائسة حزينة ، فليالي القاهرة ، والأطلال والسراب لإبراهيم ناجي صور قصصية شعرية صادقة لروح الشعراء في نهاية الحرب بل وفى أثنائها .

تحديد حقب زمنية يقينية يصعب في الناحية الأدبية بل والعلوم الإنسانية بشكل عام ، لأن ظهور الحركة الأدبية أو النمط الشعري على الساحة لا يعني شهادة الميلاد له ، فقد يكون تواجده من فترة لكن لم يستحصد بعد ويقوى في الظهور ، وحينما استطاع طالعنا بقوة حتى إن " نازك الملائكة " حينما قالت : - إن الشعر الجديد في العراق ١٩٤٧ ومن بغداد زحفت هذه الحركة وامتدت وغمرت الوطن العربى كله كانت البداية الأولي بنشر قصيدة (الكوليرا) لنازك الملائكة " وهل كان حياً " لبدر شاكر السياب في العام نفسه [١] .

---

(١) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة صـ ٢١ – ٢٢ بيروت ط ١٩٦٢

ولا شك أن ب . س . اليوت قد سبقها ، لأن شعره في العقد الثاني من القرن العشرين انتشر وشاع وكان له تأثير كبير لكونه شاعراً وناقداً ، وصلاح عبد الصبور تأثر تأثيراً شديداً بالآداب الإنجليزية التي كان على صلة بها وتأثر بها في الصور والأخيله

يقول د . النويهى " لعل الهدف من وراء ذلك الأسلوب الجديد هو فتح ميادين جديدة للشعر العربي ، كميادين الشعر القصصي والدرامي الذي عجز الشعر التقليدي عن تناوله " (١) .

مفهوم الشعر القصصي : لكي نحدد مفهوم الشعر القصصي نفرق بين " الأقصوصه short story التي تعني بتصوير حادثة فردية تصويراً محكماً ، كتصوير أزمنة أو مفاجأة أو واقعة معينة خاصة بالحياة الإنسانية ، والقصة short novel عبارة عن رواية صغيرة غايتها غالباً دراسة الطبائع والسجايا ، وليست وقفاً على شرح أو تصور حادثة أو أمر معين ، أما الرواية novel فهي قصة طويلة جامعة المناظر وحوادث شتى كاشفة للغرائز والأخلاق الإنسانية بما فيها من حل وتشريح وتفصيل(٢).

(١) قضية الشعر الجديد د / محمد النويهى صـ ١٢١ – ١٢٤ بتصرف القاهرة ١٩٦٤ .
(٢) الشفق الباكي صـ ٦٢٥ القاهرة ١٩٢٦ نقلاً عن رسالة ماجستير القصص الشعرية فى الأدب المصري الحديث نشأتها وتطورها صـ ٣٣٥- ٣٣٦ حسن عبد السميع محسن إشراف د / أحمد محمد الحوفى دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٠ والتى طبعت فيما بعد بعنوان الشعر القصصي حسن محسن دار النهضة العربية ط ١ – ١٩٨١ صـ ٨ .

الشعر : موضوعي ، ذاتي الموضـوعي هـو القصصـي والقصصي متفرع إلى قصص الحيوان ، الطير ، القصة الشـعبية القصيرة " البالاد " ثم الملحمة ، والملحمة تنقسم قسمين : الملحمة التاريخية ، والملحمة الأدبية ، والذاتي هو : الغنائي المتفرع إلـى فكرة وعاطفة ، والفكرة تنوع إلى الأنشودة والمرثية والسـونيت ويلتقي النوعان الموضوعي والذاتي أخيراً في القصيدة الطويلة (١)

اللغة الشعرية : تختلف لغة الأدب عن لغات العلم والكلام العادى لما يجب أن تحويه من شحنات شعورية وفيـوض حسـية عاطفة وعمق كل ذلك ينضوى تحت الإيقاع والموسيقي .

" اللغة لديها سبيلان للأداء الشعري ، وإن هذين السـبيلين ظلا مستقلين ، وإذا كان الكاتب الذي يهدف إلى أداء شعرى دقيق يظل حراً في أن يجمعهما معاً أو على العكـس فـي أن يسـتخدم أحدهما دون الآخر (٢) .

المراد بالشعر القصصي يقول حسن عبد السميع محسن في رسالته (٣) هو ذلك الشعر الذي ظهر في دواويـن شـعر العصـر الحديث في مصر ، ولجأ فيه الشعراء إلى التجديد باتخاذ ثوب

---

(١) الأدب وفنونه د / عز الدين إسماعيل صـ ١٨٥- ١٩٥ دار الفكر العربي ط ٤ – ١٩٦٨ .
(٢) بناء لغة الشعر جون كوين ت . وتقديم وتعليق د / أحمد درويش صـ ١٩ ط ٣ – ١٩٩٣ دار المعارف.
(٣) القصص الشعرية فى الأدب المصري الحديث نشأتها وتطورها صـ ٣٣٥- ٣٣٦ حسن عبد السميع محسن إشراف د / أحمد محمد الحوفى دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٠ رسالة ماجستير .

القصة النثرية والحكاية لباساً له ، إلى جانب توفر الأحداث السردية لا على طريقة التفصيل الدقيق الذي يتوفر في القصة النثرية ، وإنما على طريقة أخرى يتطلبها ارتباط الشعر باللفظ والتفعيلة ، وقد ضم هذا المصطلح العام أنواعاً ثلاثة من الشعر هي في مجموعها أقسام للشعر القصصي

السرد – الشعر : اختلاف واتفاق ... اتفق الشعر والنثر – بأنواعهما – على أنهما طريقة أداء يلتمس الأديب من خلالها التعبير عن ذاته وإبداء رأيه في شتى ما يهمه ، كبث فكرة، أو ابداء رأى ، أو حكي حدث ، سواء أكان يهدف إلى إقناع المتلقي أم لا ؟ ولا شك أن لكل منهما خصائص وسمات ، لكن إذا كان العلم رحم لأهله فإن الأجناس الأدبية مردودها جميعاً إلى أنها وسيلة يتخذها الكاتب لقول شيء ما لتوجيهه لشخص ما ، يريد مشاركته رأيه أو إقناعه به .

فروق الشعر – القص ... نتيجة لتداخل الأنواع الأدبية والأشكال التعبيرية فإن كل شكل يأخذ من الآخر ، وقد ينزع الشعر من السرد مكوناته ، ويستلهم سماته ، ويستهديه بعض ثماره الناضجة ، والسرد عبارة عن لحظة متميزة تكون منطلقاً لقص ما

سبق أو سرد ما سيأتي ، إذا ما خفت التوازيات الدلالية والموسيقية ونظام الصور المجازية وخفت صوت الموسيقي وضعفت الكثافة الصوتية [1] والشعر القصصي قائم على الحكاية ، وغالباً ما تكون المرأة هي مصدر الحكاية . سواء أكان الكلام موجهاً إليها أو متوجهاً لقص الخبر عنها ؟

الشعر : شكل فني مميز له سماته ومكوناته ، ويقتضى الكثافة والاحتفاء باللغة ، " فما يحكم الشعر هو مبدأ المشابهة ، أما ما يحكم النثر السردى فهو مبدأ المجاورة ..

١. السببية .

٢. المكون التعاقبي الزماني .   ٣. الترابط المكاني .

القصصي الشعري حاله فردية تعبر عن جيشان العواطف وصدق الانفعالات ، لكنها أخذت بسمة البوح الوجداني ، ولم تتشكل كظاهرة عمقها وكثفها مبدعها فصارت صبغة أساسية على انتاجهم – كما فعل مطران – والشعر القصصي لا تظهر فيه الغنائية بشكل مباشر ، بل تتواري خلف الحوادث والوقائع ، فقد يمر الشاعر بموقف ما فتهتز له مشاعره ، ويؤثر في إحساسه ، فينسجها في شكل قصصي مثير وربما الرائد في ذلك " أمرؤ

(١) مقال السرد فى الشعر القديم هشام مشيال .

القيس " فهو من فتح الأعين الغمض على هذا النوع الأدبي ، فمن حياته نظم أفضل القصص ابتداءً من خروجه للصيد ، وبدء رحلة الانقضاض على الطريدة أو الطرائـــد حتـــى الظفـــر بهـــا ، والاستمتاع بطعمها الشهي ، في شكل شـــعرى ، ســـرد قصصـــي متميز به مقدمة ، عقدة حل ... والفرزدق في العصر الأموي لجأ للإطار القصصي فقال .

وليلة بتنا بالغربين ضافنا على الزاد ممشوق الذراعين أطلس
تلمسنا حتى أتانا ولم يـــــــــزل لدن فطمته أمـــه يلتمس

الشعر القصصي

والقصص لازمه من لوازم الإنسان ، والحكى إحدى خواص تكوينه ، فهو يصدر عن الإنسان سليقة ، ويمارسه بطبيعته ، لكن كفن قعدت له القواعد " لم تعرف العربية الشعر القصصي بمعناه الغربي ، وإنما عرفته ضروباً من نظم التاريخ تشبه أن تكون متوناً للحفظ والتسميع ، ومازال هذا شأننا في اتصالنا بأوربا وآدابها في القرن التاسع عشر ، ولم يلبث " سليم البستاني " أن نقل إلياذة هوميروس إلى لغتنا شعراً، وبذلك رأى شعراؤنا تحت أعينهم هذا اللون من الشعر القصصي، ورأوا ما يجرى فيه من حروب وحوادث مثيرة تدور حول أبطال اليونان وطرواده، إذن القصص الشعري بمفهومه الغربي لم يظهر إلا في العصر الحديث"(١) .

حافظ إبراهيم : تواجد شوقي وحافظ في حقبه تزخر بالأحداث جسيمها وجليلها ، فانشغل حافظ بالحياة الاجتماعية " أما حافظ فقد كان بحق شاعراً اجتماعياً جعل شعره سجلاً للحوادث

---

(١) القصص الشعرية فى الأدب المصري الحديث نشأتها وتطورها ودراستها الفنية حتى ١٩٤٥ حسن عبد السميع رسالة ماجستير دار العلوم .

التي مرت بضفاف النيل ، وديوانه يصلح أن يكون من الوثائق الاجتماعية ، وشعره في هذه الفترة من عمره الذي اعتصرته الآلام هو خير ما جاء به مما يصور نفسه ويظهر طابعه الفني على حقيقته " (٢)

وإن كان حافظ غير واسع الثقافة ، ولا متفرد الرؤية ،إلا أنه يسمع ويحاول أن يعبر عن عصره ، واستطاع جعل شعره صدى لما يجيش في ضمائر الناس ، وما يدور على ألسنتهم لا أكثر ولا أقل – على حد قول أحمد أمين – في مقدمة ديوان حافظ

والشعر القصصي في تلك الفترة انحصر في مجال الاجتماعيات ، يشير الناظم لموقف اجتماعي ، أو آفة ، أو حادثة ولكي يبلغ ما يريد من التأثير في نفس المتلقين يصبغ عليها الصبغة القصصية التي " تحولت عند عديد من الشعراء إلى معالجة الموضوعات الاجتماعية وتصوير خلجات النفس الإنسانية ، لأن الأقصوصه الشعرية عندهم أقدر على التعبير عن هذه المعاني أكثر من غيرها ، لكنها عند لفيف من هؤلاء جاءت مفككة ، ضعيفة الأسلوب ، وعاجزة عن الإيحاء القوى ، نظراً لحاجتها

(٢) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٥٣ .

كفن قصصي إلى الإيحاء والتصوير والوصف كعناصر رئيسية للشعر القصصي" (١)

وقد اختلفت آراء النقاد في القصة عند " حافظ " منهم من قال إنه أجاد فيها وأبدع ، لقدرته على الوصف ، حيث تلتقط ذاكرته الحافظة دقائق الأشياء وصغائرها ، ثم يجترها في الكتابة ولو اهتم بتسجيل شعره لترك لنا ثروة روائية ثرية ... لأنه سجل لنا مآسى مصر الاجتماعية ، وأمانيها القومية وسعيها وراء الاستقلال والقضاء على الاحتلال ، وله قدرة بارعة على الوصف والمسرحية والقصة من الأدب الوضعي لا الأدب الإنشائي .

يقول د / جمال الدين الرمادي " قصص حافظ الشعرية على ندرتها لا تدل على إلمام عميق بهذا الفن وإن كانت تزخر بالمشاعر المتدفقة والأحاسيس الجياشة ، فهي غير محددة المعالم واضحة الشخصيات ، ولا تعتمد على عنصر المفاجأة أو العقدة الذي يتمثل بوضوح في قصص مطران الشعرية ، وهي أقرب إلى الشعر الغنائي منها إلى أي شيء آخر ، ويتطرق إليه عنصر الرواية بين الحين والحين (١) .

---

(١) تطور الشعر العربي فى مصر د / ماهر حسن فهمي صـ ١٢١ ، ١٢٢ مكتبة نهضة مصر الفجالة ١٩٥٨ .

(١) خليل مطران شاعر الأقطار العربية د / جمال الدين الرمادي صـ ١٧١-١٧٢ .

فهي عند د / الرمادى لا تضم عناصر القصة مثلهـا عنـد مطران فهي قوية عند مطران ، واهنة عند حافظ إبراهيم .

لكن هنا نجد سمة السرد غالبة ، ويشيع في أرجائها الحكي لكنه حكي مقصود فلم تتسلخ القصيدة عن بنية الشعر ، وهي فـي لجوئها للسرد تقتبس بعض ضيه ، وتتظلل ببعض خطوط لم تهدم أهم مكوناتها من قبيل الكثافة الصوتية والمجازيـة ، فقـد أوجـد حافظ إبراهيم للشعر وظيفة ، واعتلاها وامتطي الشعر صهوة إثارة النفوس تارة باسثاره المشاعر للتعاطف الإنساني كمـا ورد فـي قصصه المختلفة التي تهدف إلى التكافل والتآزر والإشادة بالمبرين وعمل البر وتارة بعرض التاريخ الجليل أمام الناشئة أو جيل الغـد المأمول على حد قول حـافظ فيجسـده أمـام أعيـنهم بأحداثـه وأشخاصه ، ليبين لهم أنهم من سلالة عظماء فيجـب أن تكـون أعمالهم عظيمة – مثلما نوه في مصر تحدث عن نفسها .

ومع ذلك بلغت قصائده حداً كبيراً في الروعة والإجادة ففي قوله :

شبحا أرى أم ذاك طيف خيـال   لا ، بل فتـاة بـالعراء حيـالي
أمست بمدرجة الخطوب فما لها   راع هنـاك ومـا لهـا مـن
واليحسرى ، تكاد تعيد فحمة ليلهـا   ناراً بأنات ذكين طول

وهو ما حدث مع حافظ في وصف هذه اللقطة بهذا الأسهاب يعد حافظ ابن بيئته الاجتماعية فقد صورها بكل متناقضاتها غناءً وفقراً ، وبكل ما في جذورها وأعماقها من ضعف أدى بها إلى الرق ، فتتوقت للحرية والإنعتاق ، وفهم عنها حافظ ذلك ، فأخذ يشيع الرغبة الشديدة بنشر المساواة المجتمعية ، فوضع أمام الأعين صورة شخصية طفحت بالألم والشكوى وتلفعت بالضجر واليأس .

" وما الشعر إلا شعور الشاعر التابع لشعور الشعب ، الذي هو فرد منه ، وأكبر الشعراء هو القادر بشعره على تحويل شعور الشعب وهو في كل أمة نادر " (١)

وهو وإن كان نادراً في الأمة إلا أنه بوجود حافظ في البيئة المصرية وطلاقة لسانه ، وجميل تصويره وحلو تجسيده لمغنم لا يبارى فى قصيدته ملجأ رعاية الأطفال (٢)

من خصائص الصورة : أن تكون شعورية تصويرية لا عقلية فكرية ، فالفكرة يجب أن تتراءى من وراء الصورة ، وتقوم الصور الحية مقام البرهان الوجداني عليها . فالأديب يجب أن

---

(١) شعر جميل صدقى الزهاوي على عباس علوان إشراف د/عبد العزيز الأهواني ١٩٦٥ رسالة ماجستير آداب القاهرة .
(٢) ديوان حافظ صـ صـ ٢٨٣ – ٢٨٨

يعني بتصوير الحقائق في صدق وإخلاص وقيمتـــه الفنيـــة تقاس بقدر ما احتوي من هذه الحقائق ، ولكن تصويره لها يجـــب ألا يكون نقلاً دقيقاً بل تمثيلاً وتفسيراً لها " (٣)

وهذا ما حدث مع حافظ فهو كان يريد سوق تبرير ليفســـر سر تعاطفه مع البؤساء والمعوزين .

فلهذا وقفت أســتعطف النـــا س على البائسين في كل عام

لكنه لم يرد أن ينص على الفكـــرة ابتـــداء مـــن أنَّ فعـــل المعروف ينفع صاحبه بنفس القدر الذي ينفع به المستفيد ، بل إن صاحبه قد ينتفع به أكثر ، لذا لجأ إلى الإطار القصصي لقوة وقعه وليسر التوصيل ، فالرسالة من خلال السرد القصصي أشـــد فعـــلاً وأأثر في النفس ، ولكي يحث الناس على إعانة ملاجئ الأطفـــال " نسج قصة طريفة تعد واحدة من شطحات خياله ، بين من خلالهـــا جميل أثر العمل الصالح وما يظفر به المحسنون مـــن رعايـــة الله وحفظه " وما تقدموا لأنفسكم من خير بعلمه الله " فبعد أن وصـــف القطار وصفاً دقيقاً وما يتعلق به من شكله وسرعته وأثـــره فـــي النفوس ، يصف المشهد الذي حبست له الأنفاس والتفـــت حولـــه العيون فنطقت الشفاة تعجباً حمداً وشكراً .

(٣) أصول النقد الأدبي أحمد الشايب صـ ٢٤١ .

أنجاة من القطار ، من الجـــــ ر من النهر ، جل رب الأنـــام

فقد عبأ النفوس بالدهشة ، واستفزها بالتساؤل واســـتثارها للاهتمام ... بما وكيف نجا هذا الرجل من تلك المهلكات المتواليـــة التي تعاقبت عليه في تسلسل عجيب ، فنجا منها بمقدرة أعجـــب ، ثم تحدث الانفراجة بالتبرير لإزالة العجب .

وإذا صيحة علت مـــن فتـــاة   برزت من صفوف ذاك الزحام

وبعد أن تقص القصص وما فعله معها ولها ولابنها نســـبته إلى الدار التي تراعي الأيتام ولتنفي عنه العجب فهو من خيار ....

هو من معشر أغاثوا ذوى البؤ   س وقاموا في الله خير القيام

وأقاموا للبرد داراً فكانـــــــت   خيـــر ورد يؤمه كل ظامى

إن هذا الكريم قد صان عرضي   وحماني من عاديات السقام

عال طفلي وعالني وحبانـــــــي   بكساء وبدرة وطعام(١)

(١) عاله : كفاه معيشته . وحباه بكذا : أعطاه . ويريد " بالبدرة " هنا : جملة من المال .

وهو من معشر أغاثوا ذوى البؤ — س وقاموا في الله خير القيام

وأقاموا للبر داراً فكانـــــت — خير ورد يؤمه كل ظامي(٢)

ملئت رحمة وفاضت حنانـــا — فهي للبائسات دار السلام

زرتها والشقاء يجرى ورائي — وشعاع الرجاء يسرى أمـــامي

لم يقولوا : من الفتاة ؟ ولكن — سألوني هنـــاك عـــن آلامـــي

وكأن هذا المشهد تكملة للقصيدة التي قيلت قبلاً ...

ولكن من الغريق ؟ ففي الأولي القـــاص هـــو الشـــاعر – وانتهت علاقته بها بعد تسليمها لمن سيرحمها . أما هنا القـــاص الشاعر لكنه لم يقع غريقاً بعد النجاه من الجسر ومن قبلها القطار فهي سلاسل من سوق الصور الإبداعية .

" من ذلك يتبين أن الصورة الأدبية هي مجال ابتكار الأديب وإبداعه وسمو خياله ، ومجلي قدرته على تملـــك زمـــام اللغـــة ، ودليل وعيه بأسرارها ودقائقها ، وهي بكل ذلك أداته لنقل فكرتـــه وعاطفته إلى نفس قارئه ، وكلما زاد حظ الأديب من القدرة على

---

(٢) ظامى : ظامئ .

خلق الصورة المبتكرة الجميلة المعبرة عـن ذات نفسـه ، كلما كان نتاجه الأدبي ، أرفع درجات بمقاييس الفن الأدبي وكـان هو حرياً بمكانة سامية في ديوان الأدب " [1] .

وهذا ما رفع حافظ خاصة في اجتماعياته فلم يستطع أحـد من معاصريه مجاراته ، بل وممن أتوا بعده .

وفى قوله :

وشهدنا ثغر الوفاء وتجلـي   إذ تجلي في ثغرهـا البسـام
ورأينا شخص المروءة البـ   ـر تبدى في شخص ذاك الهمام

فمغامرة الذات هنا تظهر من خلال اللغة " فهـي لا تخلـق توتراً درامياً ، وإنما توتراً شعرياً ينتج عن التكرارات والمجـازات وعلى هذا الأساس بدأ من بعد الفراغ من وصف القطار وفرع إلى تشخيص الموقف .

جزت يوماً بنا ونحن على الجـ   ـر قيـام والليل ليل التمام
وإذا راكب إلى الجسر يهوى   بين صفين من ممات زؤام

ثم يعقب ذلك تتابع في جمل متلاحقة مجسدة متحدثاً عن المنقذ .

---

(١) مصطفى صادق الرافعي الناقد طه عبد الرحيم عبد البر صـ ٩٣ رسالة ماجستير اللغة العربية جامعة الأزهر ١٩٦٩ .

كافح الموج،صارع الهول،أبلى كبلاء المهند الصمصام

القصة الشعرية بين التخيل والمرجع: الفكرة المبثوثة في القصيدة الشعرية تعبر عن نفس الشاعر الملتاعة للمنظر المترائى .

لذا ... فالشخصيات والحبكة والزمن والحوار وغير ذلك من عناصر السرد الأساسي ، تكاد تلتحم وتختزل جميعها في صورة واحدة ، إظهار عمق التأثر في داخل الشاعر ، نزع التعاطف والتجاوب من المتلقين ، من خلال إقناع المتلقي أنه أمام نص قصصي سردي له مقوماته الفنية التي تمكنه من تصديق الأحدوثه واعتبارها نصاً سردياً قصصياً فهناك سمات لافتة .

سرعة خاطفة ، لحظة مكثفة ، تقطع في السرد ، انتقال مفاجئ ... كل ذلك تم من خلال الحكى" إن الحكى كائن في الخلفية العميقة لكل قصيدة غنائية...مما يدل على أن غنائية الشعر لا تعفيه من العمق من كونه يحكي عن الأحوال التي مرت بها الذات وأنه من خلال هذه الأحوال يؤسس سردية كلية تشمل مجموع النص"(١)

(١) الشعر المعاصر فى ضوء النقد الحديث نقلاً عن حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ٢٥٤ .

فنحن أمام بناء معماري له قاعدة أساس ، ولكن لـــه عـــدة فروع تظل كلها مرتبطة بتلك القاعدة ، فجميـــع الأوصـــاف التـــي تختزنها القصة الشعرية ليس لها بعد رمزي أو إيحـــائي ، وإنمـــا ترتبط بفكرة القصيدة الرئيسة المتمثلة في " **البر نافع** " للاثنين..

أما في السرد فإن الحدث يتطور ويتحدد في إطار الزمـــان والمكان والشخصيات وهو ما حدث ، فالزمان ليلاً والمكان محـــدداً ، وليس فضاءً مطلقاً ، وهناك أكثر من شخصية فهنـــاك الـــراوي الشاعر ، وهناك البطل الذي وقع في النهر ، وهناك الشخصـــيات الثانوية . الفتاة التـــي بـــررت ســـر الإنقـــاذ ، والفتـــى المنقـــذ والمتفرجون المندهشون بالإضافة إلى اللغة التي تحتفـــى بنفســـها وتحيلنا دوماً إلى ذاتها عبر رنينها وجاذبيتها . ولهذا الســـبب تـــم اعتبار الشعر عادة خطاباً لا مرجع له ، وعلى رغـــم أن الهـــدف وراء سوق هذه القصة لم يخف على أحد حتى قبل أن يصرح بـــه إلى أن القصيدة لم تأتي كخبر – أو قصة مستقلة بل هـــي شـــعر يحتفظ بخصوصيته ، ولكنه في الوقت نفسه يمتح من السرد بعض سماته ومكوناته لأغراضه النوعية .

فاهتمامه بالجانب الاجتماعي هو ما آثار ذهنه ، فتفتق عن هذا النظم البديع " وربما كان أول رائد للشعر الاجتماعي في الشرق، وأدب حافظ الواقعي الاجتماعي يعتبر نموذجاً رائعاً لأنه يحتوي على كثير من الحقائق الباقية " (١)

وقد توسل لتوصيل الفكرة بأداة أثبتت مهارته وجدته " لغة الشاعر" أخطر أدواته وأهمها ، ولعلها خير أداة تستطيع أن تبرر لنا دلالات وافية عن نفسية الشاعر، وخياله، وعواطفه، وثقافته، وغموضه أو سهولته ، ذلك أن الكلمة مفردة أو مركبه من غيرها هي الواسطة التي يستطيع بها الشاعر أن يرسم صوره ، وينظم أفكاره ويبث أحاسيسه وعواطفه(٢).

اللغة : اللغة هي الأداة الوحيدة للشعر والسرد ، فيصب فيها ما يريد الشاعر قوله من معاني وأحاسيس ، في ظل الخيال والمجال الصياغي ، ويوظفها السارد في إيضاح المواقف وتعليل التصرفات وإبداء الآراء المتنوعة .

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ٢٥٤ .
(٢) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة صـ ٦٣٨ .

يقول شكلوفسكي : " اللغة الشعرية تمايزت عن اللغة النثرية . بالطابع المحسوس لتركيبها يمكن الإحساس بالمظهر الصوتي أو التلفظى والمظهر الدلالي وأحياناً ما يحس هو تركيب الكلمة لا نظامها " [١] .

شاعرية اللغة : مرتبطة بالوظيفة الجمالية ذات التوجه الذاتي [٢]" وقد وضعوا فواصل فارقة بين الشعر والنثر حضور الذاتية الاحتفاء باللغة – البعد عن السرد ، وكل هذا يدخل في مقومات الشعر ، فالشعر يحتاج إلى الجمال – الدفء اللغوي – الليونة في التعبير – اللعب بالكلمات التوازي في الدلالة – التكافؤ الزمني – التماثل الصوتي " له غاية قائمة بذاته ، الإمتاع – التكافؤ فهو يمتلك تتابعه الزمني الخاص " [٣]

فالعمل الشعري هو خطاب نحو جماليات ذاتيةإذا علت نغمة الخطاب الشعري وغُليا في الناحية التعليمية – اختفت الحرارة التعبيرية ، فاللغة الشعرية وظيفة غائية ، أي تواجدها الجمالي غاية في حد ذاته دون أن يكون ، والقصيدة ملتقي لغتين :

---

(١) مقال السرد فى الشعر القديم هشام مشيال .
(٢) المقال نفسه .
(٣) المقال نفسه .

١. سردية .　　　　　　　٢. شعرية .

اللغة " بوصفها أداة للتعبير والتواصل ومجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية الأخرى ، فإن الاتجاه الحديث في تعليمها ننظر إلى اللغة على أنها تشتمل على عدد من المهارات اللغوية ، فهي ليست مادة كبقية المواد الدراسية ولكنها مهارات تستقي من مناشط التعليم ومجالات المعرفة المختلفة " [١]

واللغة الآن لها أبعاد مختلفة وتحمل شحنات متعددة ظاهرة وخفية اقتضتها ظروف العصر الحديث .

لغة النثر : هي لغة التواصل ونقل الفكرة ووسيلة لتصوير الواقع والتعبير عن خارجها وهى بذلك تجد تبريرها خارجها .

اللغة في القصة الشعرية ... اللغة في القصة الشعرية تتجه نحو نفسها في السرد لا يمكن لحكاية أن تنهض بدون فضاء فهو الإطار الذي يحكم القصص ، ويعكس تحولات الشخصية ، إن له لغته الخاصة ، ووظيفته التي لا يمكن لعمل سردي أن يستغني عنها .

الفضاء في الشعر ... يمتلك طبيعة مغايره ... فضاء العبارة أو الجملة ، وفضاء الوصف حيث المشاعر والصور

---

(١) مجلة كلية دار العلوم قسم اللغة العربية – مؤتمر علم اللغة الثاني جـ ١ صـ ٩٥ – ٢٠٠٤ .

الجميلة والمواقف الحميمة ، وليس فضاءً خارجياً أو موجهاً كما هو في السرد حيث يقوم الراوي بتحديد الإطار الزماني والمكاني لقصته بالترابط مع باقي العناصر الفنية ، فالنص تائه لعدم تحديد المكان

يقول موكار وفسكى " إن ما يميز الشعر هو الوظيفة الجمالية التي تكون موجهة نحو القول نفسه ، وتجذب الانتباه إلى تركيبها الذاتي ... إن شاعرية اللغة إذن ليست سمات ثابتة في القول اللغوي نفسه بل هي سمات مرتبطة بوظائف تسود فيها الوظيفة الجمالية ذات التوجه الذاتي [١].

ولا شك أن لكل شاعر قاموسه اللغوي الذي يتحرك في إطاره ويدور في فلكه .

اجتماعيات حافظ : استحوذ شوقي على القليل الهام – القصر– فلم يجد حافظ بداً من اللجوء إلى الكثير – المؤثر– الشعب ... فاندفع عنه معبراً .... عن آماله وأحلامه ، تحركاته وسكونه ، وأقبل الشعب على حافظ يستنشده في كل مناسباته ، ويطالبه بالإبداع والإجادة فأجاد الطرفان وكسب الأدب ... أجاد حافظ في التعبير عن المناسبات المختلفة ، وأحسن الشعب في استقباله لشعره ، وعاه و حفظه، وأشاعه على الألسن ، وأوطنه القلوب والعقول ... وبذلك

(١) فلسفة الجمال عبد الفتاح الديدى دار المعارف ٧٨ صـ ٣٤ .

تحققت التجربة الجمالية يقول د / عبد الفتاح الديدى " إن التجربة الجمالية لا يمكن أن تتحقق من طرف واحد ، لأن العمل الفني لا يوجد إلا إذا أحدث أثره على الإدراك الحسي عند الآخرين، أو عند الغير من المشاهدين ، أياً يكن جمهور هؤلاء المشاهدين ، ولكن من الضروري أن يكون ثمة اتفاق مسبق بين الفنان والجمهور قبل حدوث الالتقاء المعنوي أو التبليغ المعنوي ، إذا صح هذا التعبير ومن المفروغ منه أن يلزم وجود تصور مسبق عند الجمهور بكل احتمالات العمل الفني، كما يلزم وجود فاعليات جمالية يريد المصور أن يذيبها في الرؤيا البصرية الموضوعية " (١)

وقد أثر حافظ في الجماهير فهشوا لشعره ، وفرحوا به ، ولم يهتموا بالخلفيات الاجتماعية التي كان يعاني وطأتها ، مما يشهد له بقوة أثره وتأثيره " الفنان أو المصور هو السيد المطلق الحرية إزاء الواقع مهما كان واقعة الحالي ومكانته الاجتماعية ، وهو يعمد إلى وصف العالم ، وبمجرد الشيوع في وصف العالم على هذا النحو يتحول إلى مفكر (٢) .

---

(١) فلسفة الجمال عبد الفتاح الديدى دار المعارف ٧٨ صـ ٣٤ .
(٢) الرؤيا الإبداعية فى شعر صلاح عبد الصبور محمد الفارسي الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ ٣٧ - ١٩٨٦ .

تحدث حافظ في كثير من الموضوعات أما الاجتماعيات فقد استحوذت على جل تفكيره واهتمامه .

" وقد ذكر كثيرون ممن عاصروه أن نفسه كانت تنجذب إلى كل أعمال البر فيدعو إلى إعانة البائس ، وكفالة اليتيم ، ومساعدة المريض .... الخ ، وكان الشعر كل ما يستطيع حافظ تقديمه من عون ، فقدمه معتذراً للناس عن فقره قائلاً :

لو ملكنا غير المقال لجدنا إن جهد المقل حسن المقال(١)

أخذت الاجتماعيات عند حافظ مناحي ثلاث :

١. **نقد المجتمع** ... كانت عين حافظ عين راصدة ترصد آلام المجتمع، وتشخص أدوائه ، وتلتمس دوائه،وهى صفة سائدة في كثير من شعره ، ربما للمرارة التي يحملها في ذاته ففاضت من أرجاء جسده وفكره .

أما حديث النقد الاجتماعي في شعر حافظ فهو طويل طويل يشغل مساحة واسعة من ديوانه وينتشر في معظم قصائده ، فضلاً عن الصفحات الكثيرة التي يشغلها في مؤلفه النثرى (ليالي سطيح)

---

(١) ديوان حافظ جـ ١ صـ ٣١ .

ولم يترك حافظ عيبا بماده كان أو عرضاً أو ظاهرة جدت في حياة الناس إلا تحدث عنها ونبه إلى إضرارها"(٢) .

فنفس حافظ المضغوطة نتيجة تحملها العوز والفقر حاولت التنفيس في السخط على الإنجليز فلم يتمكن من ذلك فحولها إلى النقد الاجتماعي ، مما أمكنه من ذلك وتيسر له ، حتى يقول إن جل اهتمامه وعظيم نقده وجه تلقاء مصر يقول :

لعمرك ما أرقت لغير مصر ... ومالى دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت ... تصول بها الفراعنة العظام
فأقلق مضجعي ما بات فيها ... وباتت مصر فيه فهل آلام

حالة البلد العامة ماثلت حالة حافظ الخاصة ، فحياته اليومية " مهددة بالقلق وكان لا يجد الأنس في غير الانتقال من مكان إلى مكان ، يخرج من عزلته البيتية بمحادثة من يصادف من الرجال" (١)

٢. **استحضار الحضارة المصرية الإسلامية:** عاب على المصريين وهم شبوا في حصن الحضارة الفرعونية الإسلامية تكاسلهم وتوانيهم ، فالشعب تواكل " طرح وراء ظهره تاريخه ، وتعاليم

---

(٢) حياة حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ٦٠ – ٦١ مؤسسه نصار للنشر القاهرة طبعة مركز الدلتا .
(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٦٤ .

دينه ، فعاش بائساً تنوشه أظافر الدخلاء، ويختلس قوته أصـــابع الغرباء ، وصار أبناؤه يتكففون لقمة العيش من أيدي هــؤلاء بعد أن غلبوهم على أرزاقهم يقول [٢] :

أرى شعباً بمدرجة العــوادى   تمخـــخ عظمـــه داء عقـــام
سرى داء التواكل فيه حتـــى   تعطـــف رزق ذاك الزمـــام[٣]

عرف حافظ بكثرة مشاركة النـــاس آلامهــم ، وبتصــويره آمالهم في حياة كريمة وادعة ، لا يكدر صفوها بؤس ولا خوف ، ولم يكن يعن له أمر يصلح من حالهم إلا أقبل عليـــه يأخـــذ منـــه بنصيب ، يدفعه إلى ذلك نفس مجربة أجهدتها الســنون ، فباتــت تتوقى كل عادية
وتفتح لأعين الناس من نوافذ الأمل ما أغلقته الأبواب أمامها [١]

وقد نتج عن انشغال حافظ بهموم الوطن شيئان هامان :

دعوته للتكافــل الاجتمـــاعي   واتخـــاذه موقفـــاً مـــن القضـــايا الاجتماعية

---

(٢) المرجع السابق صـ ٦١ .
(٣) كان يعيب التكاسل مع أنـه " حسب ما يروى عنه مثالاً للتواكل والتراخي وعدم الانضباط فى كل عمل يسند إليه وبسبب هذا تعرض لمشاكل كثيرة ينطبق عليه قول الشاعر .
لاتته عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيماً
(١) حياة حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ٧٢ .

الالتزام الذاتى الحافظى ... التزم حافظ إبراهيم بقضـــايا المجتمع ونصب نفسه كشافاً يكشف موبيقاته وسلبياته ، وهــزازاً يهز المجتمع بعنف لينبه للأخطار المحدقات من النــواحي كافــة ، سواء أكانت ناحية قومية – كقصيدته " اللغة العربية تنعي نفســها "، فهي متعلقة باللغة التي تئن من وطأة هجر أصــحابها ... فقــد لفظوا الغني المعطاء ... وتعلقوا بالفقير البخيل من اللغات الأخرى أو اجتماعية ... كحزنه على الفقيرات اللائي يعانين مــن شــظف العيش والمجتمع عنهن غافل .

أو سلوكية ... كالتشجيع على حسن تربية البنات وتــوجيههن للناحية القويمة لإصلاحهن وإصلاح المجتمع بهن ... وأقول كشافاً هزازاً ولم أقل مصلحاً متغيراً لأن هذه الأوضاع لم تتبــدل بأقوالــه الجميلة في زمانه ، ولا فيما عقبه من أزمان ، حتى وصــلنا إلــى عهدنا هذا الذي تردى فيه كل شيء ، ولو عاد حافظ لأقر أنه آنذاك كان متشائماً ويا ليت العهد ظل على ما كان ينقضه

وهو في ذلك التزم من نفســه ولــم يفــرض عليــه الالتــزام فبتسليطه الأضواء على القضايا التي أثارته استخدم الالتزام بمفهوم من الواسع " وتفسيره الــواعي الشــمولي ، فلــه وجهــة نظــر موضوعية تنبع من صميم العمل الفني نفسه ، فنحن لا نصادف في فن من الفنون أو قصة من القصص تحللاً كاملاً من كل شيء

وإلا ما خرج إلى حيز الوجود كعمل فني، ومن الضروري أن يكون هناك التزام بشيء ما ، أو بفكرة ما ، بصورة أو بأخرى ، فكل عمل فني مهما كان شكله أو مضمونه فيه نوع من الالتزام في نهاية الأمر بموقف معين من الحياة أو نظرة معينة إلى الأشياء بأي شكل أو صورة [1]

أما الالتزام الأيديولوجي أو السياسي أو الأخلاقى في أشكال مبتزلة أو متزمتة فليس مجاله الفن أو الأدب ، وإنما له من هم أليق به من رجال السياسة والاجتماع وأساطين المنابر والوعظ والدعاية أما الفن فله من المجالات والسمات والخصائص ما يحفظ قيمته ويضمن له استمراريته وخلوده ... فحين تموت خطب الساسة والقادة فإن مسرحية أديب أو هاملت خالدة [2] .

وكثيراً ما جاءت أشعار حافظ النقدية التي التزم فيها بتفسير أدواء المجتمع في شكل قصة تكاد تكون قصة قصيرة .

٣. **معالجة الفقر** : معالجة الفقر عند حافظ أخذت شكلاً مؤثراً فالفقر ظاهرة إنسانية لفتت نظر ذوى الحس العالي من الشعراء لكن اختلفت طريقة معالجتهم لها .

---

(١) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر أحمد منصور الزغبي صـ ١٤ إشراف د / سهير القلماوى رسالة ماجستير كلية آداب ج القاهرة ١٩٧٦ .

(٢) المرجع السابق صـ ١٤ .

يقول أحمد محرم

رأيت البؤس يركض في جلود   يجانبهـــا النعـــيم ويحتميهـــا
رأيت بيوتاً سابغة تلـــــوى   كأمثال الأراقـم مــلء فيهــا

ثم يقول في قصيدة أخرى :

أكل امرئ في مصر يسعى لنفسه   ويطلب أسباب الحياة لذاتـــه؟

لكن حافظ امتطى السرد ولجأ إلى القصـــة فـــي مناســـبات مختلفة ١٩١١ ، ١٩١٣ وما تلاها من سنين لم يدع مناسبة إلـــى البر أو دعوة إلى عمل الخير إلا سارع حـــافظ ليحييهـــا بروائـــع إنشاده منتزعاً الإعجاب من المتلقين ، وهذا مسلك لـــم يســـهلكه شوقي فشوقي كان قليل الكلام .

يحتفظ بالمدخر من قواه النفسية، "ليلقى الناس بالقصـــيد لا بالحديث ، فظفرت جهوده بالخلود ، وكان حافظ يحدث من يلقـــاه بإطناب وإسهاب ، فلا ينقض اليوم إلا وهـــو متهالـــك مـــن فـــرط الإعياء، وكان شوقي يهرب من الناس حين يشرع في النظم ، فلا تراه إلا هائماً على وجهه من طريق إلى طريق وفى حال تنذر بالجنون [١]

وعلى الرغم من أن حافظاً عاني شظف العيش وجعل جـــل اهتمامه موجهاً للفقراء والمعوزين إلا أن البعض قالو إنه لا

(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ١٣١ .

يتوجه إليهم ويشكو معهم لأنه يحاكيهم بل إنه ارتفع على ذاته فهو لا يشكو بصفته وشخصه وإنما يشكو متلبساً حالة المجتمع وحالة أمثاله يقول أحمد محفوظ (٢)

" أنا لا أعد بؤسه إلا بؤساً في الرغبة والطموح .

" وقال د / الجندى لقد استمرأ حافظ عادة الشكوى ، فلم يكف عنها طوال حياته حتى في أيام رخائه وصلاح حاله " وهذا القول يؤكد المعنى الذي ذهبنا إليه ، وهو أن شكوى حافظ لا تمثله شخصياً وإنما تمثل أمته ، لم يكن يعني بها مدلولها المادي المفهوم وإنما كان يرمز بها إلى أمر معنوي .

" وذلك هو الواقع فقد كان يرمز إلى بؤس أمته ومجتمعه في الرغبة والطموح التي تحدث عنها محفوظ ، إن شكوى حافظ جزء من وطنيته التي عاش من أجلها وتغني بها وبكي عليها " (٣)

---

(٢) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ١١٠ .

(٣) زكى مبارك نقد الشعر صـ ٨١ .

الفصل الثانـــي
قصائد حافظ إبراهيم في إطارها القصصي

... تعد قصائد حافظ تاريخاً أدبياً هاماً "والجهـل بالتـاريخ الأدبي أخطر من الجهل بالتاريخ السياسي ، لأن الأدب هو التفسير الصحيح عن حياة الشعوب " [1] .

وعلى الرغم من دفاع حافظ عن مصر وتجنيده نفسه لها إلا أنه وجه إليه نقد في مجال الموازنة بينه وبين شوقي في بعـض المواقف ، فمثلاً حادثة دنشواى اكتفي بتوجيه اللـوم للغاصـبين ودعا على مصر بالجدب والجفاف لإنجابهـا مثـل "الهلبـاوى" " وفتحي زغلول " دون أن يقف بصلابة مدافعاً عن قومه .

" فكل ما نافح به عن مصر ساقه في صوت خافت النبـرة ومعان لا تشف إلا عن نفس مجهدة تستجدى شيئاً من حقها فـي الحياة " [2]

كذلك في قصيدته عن كرومر إهانة شديدة للمصريين بنسبة الضعف إليهم والتخاذل فيهم ، وبإرشاده إلى فعل ما يوجـب لـه الطاعة والاستسلام " الاختيار في هذه القصيدة أمر يشق على

---

(١) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٨١ .
(٢) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٨١ .

الباحث ، فهي بمصر متشابكة في نسيج عـاطفي قـوي ، وكل بيت فيها لا يقل دلاله على نفس صاحبها من الأخرى (١) .

" دماؤنا تجرى وهل بعد الدماء سلام " ؟

" فلـــرب مغلوب هـوى ثم ارتقي "

" إني رأيـت المجد صعـب المرتقى ".

وأرى أن هذا تمشياً مع طبيعة حافظ التـي كانـت تخشـى التصادم خوفاً من الرفد والعوده إلى القلق " ويحكي زكى مبـارك هجوم الناس على حافظ لتخاذله عن تأييده ثـورة ١٩١٩ ودفـاع زكى مبارك عنه فلقيه محمود باشا سليمان وقال : هل تعرف يـا حافظ بك أن الأستاذ / مبارك دافع عنك في الليلة الماضية ، فأدار حافظ بصره إلى قائلاً : ماذا تريدون منى ؟ قلت : نريـد قصـائد وطنية ، قال والاعتقال ؟ قلت وما خطر الاعتقـال ؟ فأجـاب فـي هدوء : لن أجد في المعتقل هذا السيجار وكان في يـده سـيجار ، فقلت : لن تكون شاعر مصر الوطني وأنت أسير هـذا السـيجار البغيض " (٢) .

(١) حياة حافظ إبراهيم صـ ١٢٥ .
(٢) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٧٧ .

فبدلاً من أن يجاهر ببغض الإنجليز استبدلها بدعوى التسلح بالعلم ، ونبذ اليأس والفرقة ، ونشر الأمجاد التي طويت ، وبسط صفحتها أمام الأحفاد لتكون حافزاً ودافعاً [٣] .

وقال آخر " حافظ مذعور القلب بطبيعته يخشى كل شيء ويخشى من لا شيء ، جرب سطوة الإنجليز حين طردوه من وظيفته العسكرية بالجيش المصرى ، وتتلمذ لمحمد عبده فأخذ عنه التقية ، ثم هو مفطور على الهلع والذعر ، وأدى به شقاؤه وفقره إلى حرص شديد على لقمة العيش ، وتهافت على الحصول عليها ، وأدى به كل ذلك إلى سقطات وزلات أشهرها رثاؤه لملكة فيكتوريا وتهنئته لابنها أدوارد السابع بقصيدة تغثى الحر عند قراءتها يقول في مطلعها.

لمحت من التاج والقمرا   فقلت للشعر هذا يوم من الشعر

ويصغر حافظ صغاراً عندما يقرن أدوارد في عدله بعمر الفاروق .

هم يذكرونك إن عدو عدولهم   ونحن نذكر أن عدوا لنا عمرا[١]

(٣) حياة حافظ إبراهيم صـ ١٣١ .
(١) التيارات المعاصره فى القصة القصيرة فى مصر أحمد منصور الزغبي رسالة ماجستير صـ ١٤٨ .

وينتقد د/ تليمه تهاونه ولينه في مخاطبته للإنجليز وساستهم في الوقت الذي يهاجم من المدعي العمومى " [٢]

وحافظ مشارك في الحياة الاجتماعية يئن من التيارات العامة التي تتقاذف المصريين ، ولقد دخل في وهم فريق من المؤمنين بالجامعة العثمانية،أن الدولة تخلت عن القضية المصرية، وخذلت المصريين فتوجه الشعراء إليها باللوم والتقريع لضعفها إزاء الإنجليز وتهاونها في نصرة المصريين يقول حافظ :

أمتى أرى النيل لا تخلو موارده   لغير مرتهب من الله مرتقب

ومن عمريته يتجه بالنصيحة للحكام والمحكومين من معاصريه فأما الحكام فيضع أمامهم صورة الحاكم العادل فيقول مخاطباً عمر .

يا رافعاً راية الشورى   جزاك ربك خيراً عن محبيه وحارسها

وما استبد برأى في حكومته   إن الحكومة تغرى مستبديها

ثم يضع أمامهم هذا التقرير الذي قصد إليه

---

(٢) التيارات المعاصرة رسالة ماجستير صـ ١٥٢ .

رأى الجماعة لا تشقي البلاد به		رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

وهي أبيات شديدة الالتحام بقضايا عصر حافظ ، فإن الدستور والبرلمان والحياة الشورية الديمقراطية كانت من القضايا المحورية للفكر المصري آنذاك [1] .

من قصيدة عمر بن الخطاب امتاز المطلع بالقوة والصلابة تتناسب مع المعني بالمدحه .

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها		أنى إلى ساحة الفاروق أهديها[2]

ثم قسمها إلى مقطوعات مقتل عمر .

مولي المغيرة لا جادتك غاية		من رحمة الله ما جاءت غواديها

بدأ بالدعاء على قاتل الفاروق بخروجه من رحمة الله ، وأقر حقيقه تاريخية من عدم الفرح بالتكثير من الموالي .

لا تكثروا من مواليكم فإن لهم		مطامعاً سمات الضعف تخفيها

ثم على هيئة " الفلاش باك " يعود فيذكر مواقف عمر المتنوعة ويبدأها بإسلامه حينما سمع الآى الحكيم .

---

(١) المرجع السابق صـ ١١٨ .
(٢) الديوان جـ ٢ صـ ٧٧ الديوان جـ ٨٠ – ٨١ حافظ إبراهيم أحمد محفوظ بتصرف .

فلم تكد تسمع الآيات بالغة حتى انكفأت تناوى من يناويها

وموقفه من بيعة أبى بكر

بايعت فيه " أبا بكر " فبايعـــه على الخلافه قاصيها ودانيهـــا

وأطفأت فتنه لولاك لاستعرت بين القبائل وانسابت أفاعيهـــا

ثم مواقف عمر وعلى، عمر وجبله بن الأيهم، عمر وأبـــو سفيان ، عمر وخالد بن الوليد ، عمر وعمرو بن العاص ، عمـــر وولده عبد الله ، عمر ونصر بن حجاج إلى أخر المواقــف التـــي عددها حتى يقول في الخاتمة .

هذى مناقبه في عهد دولتـــه للشاهدين وللأعقاب أحكيهـــا

وقد أجاد حافظ في مطولته وفى اسقصائه لمواقــف عمـــر الإنسانية والتاريخية والإسلامية ، وأجاد فيها وأبدع " ولم يكـــرر حافظ التجربة ، ربما لشخصيته الملول وتركيزه المقـــل ، وعلـــى الرغم من استقبال الأوساط المختلفة لها بالحفاوة ووعده بالتكرار إلا أنه لسئمه وضجره لم يكرر التجربة ، لإنها تحتاج إلى اطـــلاع واسع وثقافة عميقة ، ولكنه كان صاحب فضل ، فنظم محمد عبـــد المطلب مطولة عن على بن أبي طالب، ونظم عبد الحليم المصري مطولة عن أبي بكر الصديق .

وعلى الـــرغم مـــن إبداعـــه فـــي الوجـــدانيات والمراثـــي والاجتماعيات والمدح إلا أنه غير مطالب بأن يضع كل أعماله على قدم المساواة من الإجاده والإبداع .

الفصل الثالــث
حافظ إبراهيم مكانته وريادته

أولاً : مكانتـه الأدبيـة : اختلف النقاد آنذاك ، منهم مــن فضَّــل شاعر النيل ، والكثير فضل شوقياً ، ومن النقاد من تخلــص من التصريح مثل أحمد الشايب .

" سعي بذكاء للخروج من الثنائية بأن يزج كذلك باسم خليل مطران في الموازنة لينتهي إلى أنه " إذا كان لحافظ سرعة البديهة وحلاوة النفس وصفاء العبارة ، وترديد آمال مصر وآلامها ، فإن لشوقي براعة الغناء وقوة الأسلوب وحسن التصوير وإن لمطران صحة الفكرة ووحدة القصيدة وصدق النظــرة والثقافــة الشــاملة وسماحة الطبع وسمو الأخلاق .

وبذلك خرج من المأزق الثنائي الضيق .

والحق أن إبداء الرأى كان يتداخل فيه كثير مــن المعــايير فهناك المجاملة وعدم القدرة على المواجهــة بإبــداء الــرأى أو اعتبارات أخرى ، مما يجعل البعض يلجأ للالتواء في تحديد رأي، فقد قال المازني في حافظ رأياً أثناء حياته ثم عدله بعد وفاتــه إذ قال عنه " كان لسان العصر الذي عاش فيه وصوت الشعب

الذي أنجبه ولم يكن العصر يحتاج إلى أرفع من هذه الطبقة ولا كان الشعب يقدر أن يحس روحه إلا في مثل شعر حافظ " [١].

أما كامل الكيلانى فقال في جمل جميلة يثبت وينفي متحدثاً عن حافظ " لقد كان مثال الشاعر النابغة ، وإن لم يكن مثال الشاعر العبقرى ، وكان واسع الحفظ وإن لم يكن واسع الاطلاع ، وكان مثال الأديب المتزن البارع وإن لم يكن مثال الأديب المثقف العميق

لفت حافظ نظر النقاد والمثقفين بحسن أسلوبه وبراعة عرضه ، فقد كان متحدثاً لبقا من السهل أن يجمع حول نفسه العقول والقلوب " قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على أذان الناس ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس ، فكان يراعي موسيقي الطول والقصر وموسيقي الفخامة والرقة وموسيقي اللين والشدة ويوائم بين ذلك وموضوعه وبين ذلك ومعانيه وأغراضه فيوفق في ذلك توفيقاً كبيراً " [٢] وتأثره في الشكل والمضمون بموروث ديني وشعري

(١) ديوان حافظ إبراهيم المقدمة ب .
(٢) الديوان صـ ٤٠ .

ويلاحظ الاقتباس من السابقين وحينما قال :

أهيم كما همت ...

فهو متأثر فيه بسورة يوسف " ولقد همت به وهم بها"

وقديماً عاب عبد الملك بن مروان قول كثير

هممت وهمت ثم هابت وهبتها حياءً ومثلى بالحياء خليق

فقال : أشركتها معك في الهيبة وانفردت بالحياء دونها ؟ ... هذا موقف عبد الملك من عدة قرون رفض الإشارة للمحبوبة بالهم ... فما بالنا حافظ ينسب إليها الهم أولاً ، ويؤكد عنفوانه لديها وحدته " فمالت لتغريني ومالأها الهوى " ثم يذكر أنه الهادى إلى السبيل القويم ... فقد أفرط في السب لا في الغزل ...

وربما تأثر هنا بقصيدة عمر بن أبي ربيعه التي يصف فيها اجتيازه للصعاب وتخطيه للأسوار .

أمن آل نعم أنت غاد فمكر غداة غد أم رائحاً فمهجر

ولكن قصة عمر بن أبي ربيعه فاقت قصة شاعر النيل فهي ليست توطئه لغرض آخر .

فقد سار على الضرب من الحكى عن ولع الفتاة به، وهيامها ولكنه سردها وأكد الناحية السردية بوجود الحوار .

كان لحافظ اهتمام كبير بشئون المجتمع ومستجدات أحداثه ، وشخصياته ، فسجل الأحداث واحتفي بالمحدثين ، وكانت موهبته تعتمد على الرؤيا البصرية اللاقطة لا الرؤيا الشعرية المستنبطة فلفت نظر النقاد والمثقفين بحسن أسلوبه ، وبراعة عرضه ، لما أوتي من قدرة بيانية ، خطابية محفلية قعدت به هذه القدرة عن مجاراة شوقي يقول د / زكى مبارك .

" لو أن أحاديث حافظ دونت لكان فيها ثروة فكرية تفوق ما ترك شوقي من الثروة الشعرية أما شوقي فكان يؤثر الصمت

موضوعات حافظ اهتم حافظ بثلاث موضوعات

١. قضية المرأة شجع حافظ قاسم أمين على الدعوة لحرية المرأة .

(حمل حافظ لواء دفاع الشعر عن قضايا المرأة ، وهو وإن كان قد قصر في شعره النضالي المباشر فإنه قد وجد مجاله في قضايا الإصلاح الاجتماعي، ولا غرابة فقد تتلمذ على يد الشيخ محمد عبده..وأخذ عنه فكرة أن الإصلاح السياسي لا يكون إلا بالإصلاح الاجتماعي ، يقول حافظ : " فقد كنت ألصق الناس بالإمام أغش داره ، وأرد أنهاره ، وألتقط إثماره " .

والحق أن ديوان حافظ وكتابه الصغير " ليالي سطيح " هما خير ما يصور حالة المصري في الفترة الثالثة ، واستقرار أوضاع الاحتلال والسابقة لإعلان الحرب العالمية الأولي ، أو بعبارة أخرى الخمس عشر سنة الأولي .

ومع ذلك فإنه كان يعمد للمراوغة عن إبداء الـــرأى ، فحينمـــا مات قاسم أمين وكان يؤيده في حياته قال :

أية رأيت أيامى الحجاب ولـــم تعصم فتلك مراتـــب الرســـل
الحكم للأيـــــــــام مرجعـــه فيما رأيت فنـــــم ولا تســـل
فإذا أصبت فأنت خيـــر فتـــي وضع الدواء موضـــع العلـــل

دون أن يصرح برأيه أمؤيد أو معارض مخالف أو موافـــق فقد تهرب بذكاء من إبداء رأيه .

يقول أحمد أمين قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسه المشاكل الاجتماعية، ولم يكـــن يكـــون فيهـــا رأيـــاً بعـــد بحثهـــا وتمحيصها كموقفه في مسألة الزوجية ، وكموقفه إزاء دعوه قاسم أمين ... ثم حاول أن يدفع عنه فيقول " ولكن قد يخفف من هـــذا النقص أن هناك فرقاً كبيراً بين الأديب والعالم وبين وظيفة العـــالم وكذلك وظيفة الأديب [1] ولعله يكمن من وراء ذلـــك عـــدم تعلقـــه بالمرأة ، فقد تزوج أربعة أشهر ولم يعقب ولم يكرر التجربة على رغم ثرائه بعد عمله بدار الكتب ، مما يؤكد أنه لا وجود للمرأة في حياته حساً أو وجداناً " وليس انصراف حافظ عن ذكر المرأة خطة منه وإنما هو فن لا يتقنه وإحساس لم يكن يخالجه " [2]

---

(١) مقدمه ديوان حافظ .
(٢) حياة حافظ إبراهيم صـ ٢٥ .

. بل ربما تواجد الولدان مقتفياً أثر أبى نواس وقد نفي أحمد محفوظ ذلك وكان يدافع عن طهارته ويؤكد أنه لم يرتكب في حياته شذوذاً أو غير شذوذ لكنه لم يعلق (١) ولكن غياب المرأة عن حياته كلها مع برودة غزله – إن وجد رجحت ذلك .

ظاهرة الغزل : اختفت ظاهرة المطلع الغزلي إلا في قصيدة البارودي ، ووجه لها كثير من النقد ، فالشاعر لم يقصد بها القصة لذاتها ، وإنما اتخذها توطئة لمدح البارودي – مثل الغزل الصناعي الذي انتهجه الأقدمون ، المعاني التي وردت تصف رجالاً مفرطة في أعراضهم .. وكذلك حديثه عنها وعن ابتزالها يهبط بها

فلا تستحق العناء فبعد أن حكي تجاوزه للرجال وبسالته فلم يمكنهم من لمسه ثم يسأل عيونهم وأسيافهم هل صافحت منهم يداً لجأ إلى الحوار

الآراء في حافظ إبراهيم ...

قال أحمد أمين كان حافظ زينة المجلس وبهجة النادر في مقدمة ديوانه .

---

(١) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ١٦٩ .

قال أحمد محفوظ [٢] كان خطيباً حلو الإثارة جهوري الصوت ، يعرف مواقع الكلام وإصابة الهدف في النفوس المنصتة كان يلهب الحماس وينال التصفيق .

طه حسين وسم طه حسين حافظاً بمحدودية النظرة " إذ قصر اهتمامه على كتاب الأغاني ودواوين الشعر ، فلم يحسن علوم العربية ولم يفهم فلسفتهم ، كما يرى أن ذاكرته القوية الغنية كانت عوناً له في صياغة شعره ، فمن الواقع الذي يعيشه يستمد مضمونه ومن ذاكرته يستمد صوره "[١].

يقول روفائيل مسيحة في كتابه حافظ إبراهيم الشاعر السياسي [٢] إن حافظاً في الغالب شاعر عاطفي معبر عن أمته، في حين كان شوقي في الراجح شاعر الذكاء المحض وصفاً وتاريخاً تصويراً وسرداً ، والشعر عند شوقي رياضة ذهنية ، في حين أنه عند حافظ كان منبراً يصيح من فوقه بأمته .

ويطرى عليه مطران قائلاً " كان حافظ يطرق الموضوع في الغالب من جوهره ، وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما بين يديه .

---

(٢) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ٤٢ .
(١) حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته الذاتية السعيد محمود عبد الله صـ ١٢٨
(٢) مطبعة المختار ١٩٤٧ صـ ٤٢ .

أما الشيخ عبد العزيز البشرى فصرح أنه لم ير رجلاً اجتمع له من متخير القول ، ومصفي الكلام ، مرسلاً ومقفى ، مثل ما اجتمع لحافظ ، فكان له نصيب من اسمه .

المازني يعترف بعد موته بالحق ويقول : نقدت شعر حافظ نقداً كله سخر وتهكم ، أو قلة عقل ، لأنه صار في رأيي مثلاً لمذهب قديم يجب هدمه ، وكان العقاد يوافقه في ذلك ، ولكنهما في آخر حياتهما اعترفا بحمق هذا النقد وقالا إنه كان من حماقة الشباب .

وقال عنه طه حسين " هو إذن صديق الشعب كله صديق الفقراء والأغنياء وأوساط الناس ، صديق العلماء المستنيرين وصديق غيرهم من الذين لا حظ لهم من ثقافة ، أو ليس لهم من الثقافة إلا حظ ضئيل ، تراه في كل بيئة وتراه في كل مكان ، تراه في حديقة الأزبكية يقرض الشعر ، وتراه في الشوارع يماشى أصدقاءه باسم الثغر ، مشرق الوجه ، مظلم النفس ضاحكاً مما يحزن ويسر .

خالط الناس جميعاً فأصبح هو الناس جميعاً وهو نفسه في شعره فصور به الناس جميعاً " (١)

---

(١) حافظ وشوقى صـ ١٧٨ .

ملجأ رعاية الأطفال *

صفحة البرق أو مضت في الغمام   أم شهاب يشق جوف الظلام [١]
أم سليل البخار طار إلـــى القصـــ   ـــد فأعيا سوابق الأوهـــام [٢]
مر كاللمح لم تكد تقف العيـــــ   ـــن على ظل جرمه المترامى[٣]
أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيـــ   ـــه تولي في يقظة أو منام [٤]
لا يبالى السرى إذا اعتكر الليـــ   ـــل وخانت مواقع الأقـــدام[٥]
يقطع البيد والفيافى وحيـــــــدا   لم تضعضه وحشة الإظلام [٦]
ليس يثنيه ما يذيب دماغ الضـــ   ـــب يوم الهجير بين المـــوامى [٧]

---

* ديون حافظ صـ ٢٨٣
(١) صفحة كل شيء : وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفيفا .
(٢) يريد " بسليل البخار " : القطار .
(٣) المترامى : الممتد .
(٤) شرخ الشباب : أوله وريعانه ، شبه به القطار فى سرعة زواله .
(٥) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه
(٦) البيد : الفوات ، الواحدة بيداء . والفيافى : المفازات لا ماء فيها .
(٧) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القيظ . والهجير : شدة الحر . والموامى : المفازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة موماة

لا ولا يعتريه ما يخرس النا   بح في الزمهرير بين الخيـــام[8]

هائم كالظليم أزعجه الصيـــ   ـــد وراعته طائشات السهام[9]

فهو يشتد في النجاء ويهـــوى   حيث ترمى بجانبيه المرامـــى[10]

يا حديدا ينساب فوق حديـــــد   كانسياب الرقطاء فوق الرغام[1]

قد مسحت البلاد شرقاً وغربـــاً   بـــــذراعى مشـــــمر مقـــدام

بين جنبيك ما بجنـــــــى لكن   ما بجنبى مستديم الضرام [2]

أنت لا تعرف الغرام وإن كنـــــ   ـــت ترينا زفير أهـــل الغـــرام

أنت لا تعرف الحنين إلى الإلـــ   ـــف فما هذه الدموع الهـــوامى[3]

أنت قاسي الفؤاد جلد على الأيـــ   ـــن شديد القوى شديد العرام[4]

---

(٨) النابح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدة البرد اللذان يخرسان الكلب النابح ويسكتانه .
(٩) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعته : أفزعته .
(١٠) النجاة:الإسراع . ويهوى ، أى يشتد فى سرعته كأنه ينحدر . وقوله : " حيث ترمى بجانبيه المرامى ": كناية عن السرعة فى اختراق الفلوات والمضى فى قطع الفيافى البعيدة
(١) الرقطاء : الحية المنقطة ، والرغام : التراب .
(٢) يشير بهذا البيت إلى نار القاطرة ونار شوقه ، والضرام : الاشتعال
(٣) همى الدمع يهمي (من باب ضرب) : سال .
(٤) الجلد : الصبور . والأين : التعب . والعرام : الشراسة والقسوة .

لا تبالي أرعت بالبين أحبـــا   با وأسرفت في أذى المستهام (٥)

أم جمعت الأعداء فوق صــعيد   وخلطـــت الأسود بالآرام(٦)

إننى قد شهدت فيــك عجيبـا   ضاق عن وصفه نطاق الكلام

جزت يوما بنا ونحن على الجســ   ــر قيام والليل ليل التمام

وإذا راكب إلى الجسر يهــوى   بين صفين من ممات زؤام(٧)

مر كالسهم بين تلك الحنايـــا   قد رماه من المقادير رامي(٨)

فتردى في الماء والماء غمـــر   يتقيه القضاء والنهر طامى(٩)

وإذا سابح قد انقض في المـــا   ء انقضاض العقاب فوق الحمام(١)

غاص في لجة الحتوف بعــزم   لم يعود مواقــف الإحجــام(٢)

غاب فيها وعاد يحمل جســما   سله من يد الهلاك اللــزام(٣)

---

(٥) راعه يروعه : أفزعه .
(٦) الآرام : الظباء ، الواحد رئم ، وأصله للظبي الخالص البياض .
(٧) الزؤام من الموت : الكريه . ويريد " بالصفين": الموت على الجسر بالقطار،والموت بالغرق فى النهر .
(٨) الحنايا : القسيى ، واحدها حنية . ولما شبه الهاوى بالسهم ، شبه قضبان الجسر فى انحنائها بالقسى .
(٩) الماء الغمر : الكثير . وطما الماء : ارتفع وملأ النهر .
(١) العقاب : طائر من الجوارح معروف .
(٢) الحتوف : المهالك . ولجها ، أي حيث تشتد .
(٣) سلة انتزعه واللزوام : الملازم .

كافح الموج ، صارع الهول ، أبلى كبـــــلاء المهند الصمصام[4]
وأنثنى راجعاً إلى شاطئ النهــ ـــر رجوع الكمى غب اغتنام[5]
وقف الناس ذاهلين وصاحــوا تلك إحــدى عجائــب الأيــام
أنجاة من القطار ، من الجســ ـــر، من النهر، جل رب الأنــام
وإذا صيحة علت مـــن فتــاة برزت من صفوف ذاك الزحام
وقفت موقف الخطيب ونــادت تلك عقبــي رعايــة الأيتــام
بســطــت تحته أكفا تلقتــــ ـــه وحاطته رغم أنف الحمام[6]
دعوة البائس المعذب ســـور يدفع الشر عن حياض الكرام[7]
وهي حرب على البخيل وذى البغــ ـــى وسيف على رقاب اللئـــام
إن هذا الكريم قد صان عرضي وحماني من عاديات الســقام

عال طفلي وعالني وحبانـــــي بكســـاء وبـــدرة وطعـــام [1]
وهو من معشر أغاثوا ذوى البؤ س وقاموا في الله خير القيام

---

(٤) المهند : السيف . والصمصام : الذي لا ينثنى .
(٥) الكمى : الشجاع . وغب : عقب .
(٦) الحمام : الموت .
(٧) يريد " بحياض الكرام " : حماهم .
(١) عاله : كفاه معيشته . وحباه بكذا : أعطاه . ويريد " بالبدرة " هنا : جملة من المال .

وأقاموا للبر داراً فكانــــــــت   خير ورد يؤمه كل ظــامي [٢]

ملئت رحمة وفاضــت حنانــا   فهي للبائســات دار الســلام

زرتها والشقاء يجرى ورائـــي   وشعاع الرجاء يسرى أمـــامي

لم يقولوا : من الفتاة ؟ ولكــن   سألوني هنـــاك عــن آلامـــي

ثم أوت إلى الغريــق تواسيـــ   ـــه بأحلى من منعشات المدام

قبلت راحتيه شكراً وصـــاحت   قد نجا صاحب الأيادى العظام[٣]

قد نجا المنعم الجواد من المــو   ت بفضـــل الزكـــاة والإنعـــام

فأطفنا بها وقد مـــــلأ الأنــــ   ـــفس منا جـــلال ذاك المقــام

وشهدنا ثغر الوفاء تجلــــــى   إذ تجلي في ثغرهـــا البســام

ورأينا شخص المــروءة والبــــ   ـــر تبدى في شخص ذاك الهمام

وعلمنا أن الزكاة سبيل اللـــــ   ـــه قبل الصلاة قبل الصــيام

خصها الله في الكتـــاب بـــذكر   فهى ركن الأركان في الإسلام

بدأت مبدأ اليقــين وظلــــــت   لحياة الشعوب خيــر قـــوام[٤]

---

(٢) ظامى : ظامئ .
(٣) الأيادى : النعم .
(٤) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذي يقوم عليه .

لو وفى بالزكاة من جمع الدنـــ ـــيا وأهوى على اقتناء الحطام(١)
ما شكا الجوع معدم أو تصدى لركـــوب الشـــرور والآثـــام
راكباً رأســـه طريـــداً شـــريداً لا يبالي بشـــرعة أو ذمـــام(٢)
سائلاً عـــن وصـــية الله فيـــه آخذاً قوته بحـــد الحســـام(٣)
لم أقف موقفي لأنشــــد شعراً صب في قالب بديع النظام
إنما قمــــت فيه والنفس نشوى من كؤوس الهموم والقلب دامي(٤)
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشا دون شربى قذاه شرب الحمام(٥)
فتقلبت في الشقاء زمانـــــــا وتنقلت في الخطوب الجسام(٦)
ومشى الهم ثاقبا في فـــؤادى ومشى الحزن ناخراً في عظامي(٧)
فلهذا وقفــــــت أستعطف النا س على البائسين في كل عام

---

(١) حطام الدنيا : المال قل أو كثر .
(٢) ركب رأسه :مضى إلى ما يريد من الشر لم يثنته شيء . والشرعة: الشريعة. والدمام : الحق والحرمة، لأن نقض ذلك يوجب الذم .
(٣) وصية الله : ما أمر الله به للبائس الفقير من بر ورحمة .
(٤) نشوى : سكرى .
(٥) القذى : ما يقع فى الشراب من وسخ . والحمام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : " دون شربى " أي أن الموت أهون تجرعا على من تجرع هذا العيش المر .
(٦) الجسام : العظام ، الواحد جسيم .
(٧) يقال : نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .

فى كلمة :

زرتها والشقاء يجري ورائي وشعاع الرجاء يسرى أمامي[8]

وكأن بينها وبين الأبيات في قصيدة رعاية الأطفال وشـائج وصلات فهو يحكي نفس الموقف .

أمشى وأحمد بائسين : فطارق باب الحياة ومـؤذن يـزاول

إلى أن يقول :

لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها تلك المروءة والشعور العالي

وهنا يقول :

لم يقولوا من الفتـاة ؟ ولكـن سألوني هنـاك عـن آلامـي

فالمعني ... الذي يردده حافظ في أبياته قد يغلـب عليـه ، يتسم بالتكرار مما يدل على شدة تأثره بآفة الضياع في المجتمع .

-على محدوديتها آنذاك- والقصيدة الثانية تعتبـر امتـداد للقصيدة الأولي قالها حافظ سنه ١٩١١ يصور فيها أثـر جمعيـة رعاية الأطفال ، وفى نهاية القصيدة الأولي أسند أن الجزاء الأوفي من الله وفى هذه القصيدة عرض لصورة من صور هذا الجزاء .

وكأن القدر يحفظ هذا الرجل ويحميه .

---

(٨) قيلت ١٩١١ .

قد نجا المنعم الجواد من المـــو ت بفضـــل الزكـــاة والإنعـــام

" فالشعور فياض ، والعاطفة قوية ، والفكرة واضحة فـــي جو نفس دائم ومستمر"[1]

نـظرات في القصيدة

استهلت القصيدة ..

صفحة البرق أومضت في الغمام أم شهاب يشق جوف الظـــلام

في هذه الاستعارات مبالغة زائدة ، فلنا أن نتخيـــل إضـــاءة القطار في بداية القرن التاسع عشر اعتقد أنها ليست بالقوة لتشكل برقاً أو شهباً، ولكنه الخيال الذي انتشر بـــين طيـــات شـــعره، ولا عجب فقد كانت عنايته باللفظ شديدة ، وإعجابه بشـــعر الأقـــدمين يسيطر على أسلوبه [1] .

وفى قوله " إن القطار سيق إلـــى القصـــد فأعيـــاً ســـوابق الأوهام" هاتان الصورتان البلاغيتان تعكسان أن " التشبيهات عنـــد حافظ تعتمد على الإيحاء باستخدام الألفاظ التي توحي بالفكرة دون

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث رسالة ماجستير صـ ٢٦٧ .
(١) المرجع السابق صـ ٢٦٥ .

أن يصرح بها وذلك الإيحاء يجعل الصورة لديه تامة فهي تصور المعني وتبعث بالإحساس العميق " [٢].

كذلك قوله في تشبيه القطار " كاللمح " كشرخ الشباب ، وإذا كانت القصيدة تكاد تكون تجديدية لاشتمالها على طرائق عدة في التعبير من القصة – النصح – الدعوى إلى الخير ، التوجه إلى النقد الاجتماعي الهادف ، واتخذ من نفسه مثاراً يعكس أحوال غيره ممن عانوا شظف العيش مثله .

إنما قمت فيه والنفس نشوى   من كؤوس الهموم والقلب دامي

والنصح تبدي في التذكير بفريضة الزكاة .

وعلماً أن الزكاة سبيل اللـه   قبل الصلاة قبل الصيام

وبين أثر إخراجها من كل قادر .

ما شكا الجوع معدم أو تصدى   لركوب الشرور والآثام

إنما قمت فيه والنفس نشوى   من كؤوس الهموم والقلب دامي

(٢) المرجع السابق صـ ٢٧٠ .

إسناد الفعل إلى ذات الشاعر إلى الأنا ، يصنف الشاعر مع الأدباء التعبيرين فقصتهم " تعبير عن شعور ذاتــى ينطلــق مــن أعماق الأديب ، وتجربــة فرديــة تكتســب شــموليتها وأبعادهــا الجماعية بعد أن يعيشها الآخرون ويتفاعلوا معها وجدانياً ونفسياً وتصبح بالتالي عملية مشاركة شعورية بين الأديب والقارئ [1] أو المتلقي وهو ما يهدف له حافظ كأديب من إحداث الأثــر وتعميــق التأثير في السامعين

فشعره التجديدى هذا " صورة من نفسه وقطعة من حياتــه وكأنه في وصفه رساماً بارعاً وكانت طريقته في تصوير الأحــداث ووصف المشاعر صورة فنية جميلة ، فقد كتب شــعره بإحســاس عميق ، وعاطفة قوية ، في أسلوب آخاذ ، تجلي في هذه الصــور التجربة الشعرية الصادقة ، فقد كانت أحداث مصر في تلك الفتــرة صورة ماثلة لديه تجمعت في مخيلته من وسط تيار الحياة الجارف المتدفق ، وقد زاد من قوة تأثيرها الوحدة التي ألفت بين أجزائهــا وقد رتبها حافظ ترتيباً سليماً حيث تبعث فــي نفــس القــارئ أو السامع صورة مماثلة لما في نفسه " [1]

---

(١) أحمد منصور الزغبي التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر إشراف د / سهير القلماوى رسالة ماجستير صـ ٩٦ سنه ١٩٧٦ .

(١) المرجع السابق صـ ٢٨ .

وقضية الفقر شائعة في شعره تناولها بأشكال شتى ، ورصد الظواهر الاجتماعية المتعددة التي ماجت بها البيئة المصرية آنذاك " ليس هناك شاعر خص شعره بأمته وأحداثها في العصر الحديث كما فعل حافظ ، فقد سجل الأحداث والكوارث ، وحفظ ديوانه يوميات أمته ، فقد كان شاعر الحياة الاجتماعية ومحامي الشعب ومصوراً للآلام والآمال .

محاورة بين حافظ وخليل مطران *

هذا صبى هائم تحت الظلام حائر أبلى الشقاء جديده

وتقلمت منه الأظافر [1]فانظر إلى أسماله لم يبق منها ما يظاهر [2]هو لا يريد فراقها خوف القوارس والهواجر [3]لكنها قد فارقته فراق معذور وعاذر [4]أبصرت هيكل عظمه فذكرت سكان المقابرفكأنما هو ميت أحياه (عيسى) بعد (عازر) [5]قد كان يهدمه النسيم وكاد تدروه الأعاصر[6]وتراه من فرط الهزا

---

* ديوان حافظ صـ ٢٩٢ ــ ٢٩٣

(١) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد فى الحياة .

(٢) الأسمال : الثياب البالية الخلقة ، ويقال : " ظاهر الرجل بين ثوبين " ، إذا طابق بينهما ولاءم . يريد أن الثوب الذي يلبسه هذا البائس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

(٣) القوارس : شدائد البرد . والهواجر : شدائد الحر .

(٤) يريد بقوله : " فراس معذور " الخ . أنها قد تمزقت من القدم وطول العهد فهي معذورة لفراقها إياه وهو قابل عذرها .

(٥) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البائس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتي بعدما ظهرت فى عازر .

(٦) تذروه : تفرق أجزاءه ، وتطر أشلاءه . والأعاصر : رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار .

ل تكاد تثقبه المواطرعجبا أيفرسه الطوى فى قلب حاضرة الحواضر [٧]وتغوله البؤس وطــر ف (رعاية الأطفال) ساهر ![٨]

كم مثله تحــت الدجــى أسوان بــادى الضر طائر[١]خزيان ، يخرج في الظــلام خروج خفاش المغاور [٢]

هذه المحاورة ليست قصة بل تكاد تخلو من عناصر القصة إلا قليل ، وهو الراوية الذي يحكي حكاية ، فهذه القصــيدة قيلــت عام ١٩١٣ أي بينها وبين سابقتها عدة شهور ، وحركة إنشــاء الجمعيات الخيرية لرعاية الأيتام والأطفال في أوجها .

وبدلاً من أن يلجأ إلى توضيح نشاط المجتمع والأشــخاص الذين ستظلهم بمظلتها ، أشار بهذا وكأني بالحضور وهو يشــاور يلتفتون وراءهم ليروا الهيكل العظمى المبعوث بعد الموت مغطــى بأسمال بالية لم تبقي عليه بل فارقته لتفتتها وفنائها ، فمــا تكــاد عين تراه حتى تستاء وكأن القذى صب فيها لهول بؤسه وعظــيم شقائه .

(٧) يفرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد " بحاضرة الحواضر " : مصر
(٨) تغوله : تهلكه .
(١) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : " طائر " أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .
(٢) شبه البائس فى أنه لا يظهر إلا مستترا بظلمة الليل بالخفاش الذي لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلا .

وهذا المظهر المجسد له وقع شديد في النفوس ، فقد عمد إلى التصوير الحقيقي في إطاره التعبيري ، وهذه عادته ، فهو يؤثر اللفظ الحقيقي إذا ما أدي المعني المقصود ، مما يدل على عمق التفكير وحسن تخير اللفظ حيث يقع على اللفظ ، المشع بالإحساس والشعور

" كان حافظ بارعاً في رسم صور البؤس التي يعيش فيها قومه ، لأن هذه الصور كانت قرين ظروفه ، فكانت تجد مجالاً خصباً لتصويرها، وهو يرسم لنا في هذه الأبيات الصورة الحسية، وأيضاً ينقل لنا الإحساس الباطني بالجوع والعرى والمرض والفقر... هذه الأمور إذا تجمعت لدي شخص فإنها لا شك تبعث في نفسه القلق الدائم من الخوف والاضطراب وتجعله لا يحس بالهدوء[1] حتى يمد يد العون لهذا البائس ، وبذلك وفق حافظ في صوغ فكرته التي يريد قولها في هذا السرد المصور بشكل قصصي متميز ، يقول طاهر الطناحي [2] .

" لو أن حافظ إبراهيم اهتم بمعالجة الشعر القصصي لكان من بعض قصائده ثروة روائية باقية . لأنه تناول مآسى عصره الاجتماعية ومنشأتها القومية وسعيها للحرية ، وجهادها في

(١) التيارات المعاصرة رسالة ماجستير صـ ٢٨٩ .
(٢) مجلة العربى ع ٩٤ سبتمبر ١٩٦٦ صـ ٧ مقال طاهر الطناحى نقلاً عن التيارات المعاصرة صـ ٢٨٩

القضاء على المحتل الغاصب لكي تفوز بالاستقلال ، إلى جانب أنه كان أحسن من ملكوا القدرة البارعة في دقة الوصف .

الإطار القصصي عند حافظ قد يكون إطاراً ويبدأ في التعبير عنه والحديث حوله ، حيث إن موهبة حافظ تعتمد على الرؤيا البصيرة اللاقطة لا الرؤيا الشعرية المستنبطة .

وفى هذه اللقطه التصويرية استقصي أحوال الصبي وقصته مع العوز والفقر ، واستعرض من مظاهر الفقر المتبدية أمام العين .... وكثف حافظ من الأوصاف المتوليه على الرغم أن الشخصية واحدة – الصبي المرئي – لكنه بمقدرته على تخلل حنايا النفس استطاع تكثيف فيض الإحساس في صرامة تنظيم ، وسرعة تصوير، والانتقال من موقف إلى آخر حيث انتهي هذا التصوير المركز إلى انفراجة بإظهار الحل الذي سيسير إليه قصداً .

كم مثله تحت الدجى أسوان بادى الضرطائر ؟

فبعد أن لفت نظر العين الرائية إلى التفحص فيه لتدرك حجم معاناته فالإطار القصصي هنا محدود الوظيفة " اتخذ من ذلك الشعر دافعاً لأن ينقد ما في المجتمع من تكاسل وتخاذل وما فيه من سيىء العادات [١] .

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٣٤

كان البؤس والفقر وأصحابهما جواذب تجذب حافظ إبراهيم وتلفت نظره " ويعلن حافظ أن انتشار الطفولة المشردة والبـؤس الذي يعيش فيه الأطفال مآساة وقد أصبح أمرهما شـائعاً ولـيس لذلك من علاج إلا تشجيع مثل هذه الجمعيات " (٢) .

فالقصيدة صورة فنية متكاملة تعكس عميق أثـر التجربـه الشعورية في نفسه ، ربما لما لاقاه صغيراً من فقر وبؤس ، ومـا يتلقاه كبيراً من قلق وضياع .

" إن حافظ في شعره الاجتماعي كان مثـالاً حيـاً لوحـدة المشاعر ، والانفعالات ، وثباتها ، وتجميع الأفكار وترتيبها حتـى يخرجها في أجمل صورة وأروع بيـان ، وفـى رعايـة الأطفـال والأيتام في شعر حافظ أجمل الصور الشعرية التي تبعث في النفس دواعي العطف والإحسان .... فهي حديثه عن هؤلاء (١)

وفى هذه القطعة بدأها بالخبر ، ثم شارك المتلقي وطالبـه بالنظر ، ثم يوضح فيشارك المتلقي " وتراه من فرط الهزال " ثـم يشير في عجالة إلا أن طرف " رعاية الأطفال ساهر " .

وطالما هو ساهر فلا ضياع لهذا الطفل ، لكنه يسـتدرك أن مثله كثيرون . وكان لكلمة " خزيان " وقع في الأذن حيث إن

(٢) المرجع السابق صـ ٢٣٦ .
(١) المرجع السابق صـ ٢٨٧ .

الصبي الضحية يشعر بالخزى من حاله ، والمفـروض أن الذي يستخزى هو المجتمع ، ثم عبر بصيغة اسـم المفعـول ... متلفقاً – مترقباً فلا حيلة له ولا رجاء ، وإنما هو في انتظار غوث المغيثين ونقل هنا التأملات النفسية لأنه دائماً موصول بالمجتمع ، على حد قول د / زكى مبارك [٢] .

وهنا استفاد الشعر والقصة من بعضهما البعض ، فالقصـة جاءت في صياغة شعرية موحية ومؤثرة ، واستفاد الشـعر مـن القصة التصعيد في الوصف حتى وصل درجة التأزم " والتفصيلات المثيرة الحية فهي أبنية متفاعلة يستفيد كل شق فيها مـن الشـق الآخر وينعكس عليه في الوقت نفسه [٣]

وبذلك نعود إلى تلاقى الأنماط والأجناس داخل النوع الواحد " فليست القصيدة قصة أو خبر بل هي شعر بخصوصيته ، ولكنـه في الوقت نفسه يمتح من السرد بعض سماته ومكوناته لأغراضه النوعية " .

إن لغة القصيدة الجميلة وإيقاعها وانتظامها وكل مظاهرها الفنيـة الأخرى تجعلها دوماً عالماً يحيل إلى نفسه وهذه اللقطـة تعكـس نفس حافظ المتأثرة وشعوره الجياش .

---

(٢) زكى مبارك ونقد الشعر صـ ٧٠ .
(٣) نقد النقد صـ ٢٨ .

ولا شك أن النقد الاجتماعي قد يحمل في طياته نقداً سياسياً وهـذا ما كان يقصد له حافظ بتركيزه على النقد الاجتماعي كمعادل موضوعي

حيث إن طبيعة حافظ المائلة للمهادنـة الرافضـة لموقـف المواجهة الصريحة مع القدرات المناوئة ، وجدت في الاجتماعيات متنفساً سهلاً وأرضاً مباحة لارتياد آفاقهـا ، لـذا زاوج الشـعر الاجتماعي بالتوجهات السياسية ولكن عن بعد ، ربما خشية مـن فقد حياة الدعة التي لحق بآخرها بعد أن أفنى السنوات الطوال في التعب والبحث عن مصدر ثابت للعيش يقيه القلق والحاجة .

ظفر بالمصدر فخسره الأدب والشعر ، وفى شـعره يتجلـى الترابط القوى الذي يحدث عـادة بـين الموضـوعات السياسـية والمشكلات الاجتماعية بعضها ببعض " إن الاجتماعيات والوصـف تؤثر فيها عناصر القصة ... وعلل أحدهم تقاعس حـافظ وعـدم بلوغه الغاية في الإبداع بهما لانشغاله بالمراثى حتـى قـال عـن نفسه

إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى   وجدت شعر المراثى نصـف ديواني

بالإضافة إلى أنه كان كسولاً يشكو قله التشجيع ، وصادف في شبابه الاضطهاد ومعاكسة الإنجليز المحتلين ، فكان يكافحهم بقصائده الوطنية ، والسياسية ، وقد بكي واستبكي لحظه العاثر، كما أن رثاءه زعماء الوطنية شغله عن الانصراف لأداب القصة والمسرح (١)

مطران – حافظ إبراهيم

مطران الضلع الثالث في المثلث الشعري آنذاك وأبو الرومانسية ، كان أبو شادي ذكياً حين زج باسمه عندما سئل من الأشعر حافظ أم شوقي ، فقال : إذا كان لحافظ سرعة البديهة وحلاوة النفس وصفاء العبارة ، وترديد آمال مصر وآلامها ، فإن لشوقي براعة الغناء ، وقوة الأسلوب ، وحسن التصوير ، وإن لمطران صحة الفكرة ، ووحدة القصيدة ، وصدق النظرة ، والثقافة الشاملة ، وسماحة الطبع ، وسمو الأخلاق " (١)

والتأثر بالشعر القصصي تجلى بشكل مباشر عن طريق الترجمة للنصوص الأصلية ، أو غير مباشر باستلهام المادة ... ولا شك أن مشكلات المجتمع أذكت نار الموهبة . فالمجتمع تفشت فيه

(١) مجلة العرب ع ٩٤ سبتمبر ١٩٦٦ صـ ٧١ .
(١) ديوان حافظ إبراهيم المقدمه .

فجأة في منتصف القرن التاسع مظاهر : نفسية ، واجتماعيه وفكرية ، لم يك له قبل بظهورها على السطح فلفتت الانتباه فعبر عنها المعبرون

وكان مطران الرائد في ميدان الشعر القصصي ، فقد فتح الطريق بديوانه " الطريق " إلى دلوف هذا الميدان الرحب ، فهو ذو نزعة موضوعية يعني بالوصف والتحليل ، وشاعت في أشعاره الواقعية التي مكنتنا من فهمه هو وكثير من الشخصيات التي أشار إليها ، فقد صور جانباً من حياته .

" لم يلجأ حافظ كمطران ينظم على نظام " البالاد " في معظم قصصه ، ولكنه كان يلجأ إليه لماماً ولكن ديوانه شمل عديداً من القصائد التي جاءت في أغراض عدة " [1]

فى قصيدة حريق " ميت غمر " نجح حافظ إبراهيم في إظهار " القدرة البارعة في دقة الوصف وهو عنصر هام من عناصر القصة في الشعر ، فقد نجح حافظ إبراهيم في ذلك نجاحاً كبيراً مما أبرز هذا اللون في شعره لاعتماده الجانب الروائي والمسرحي على الوصف " [2]

---

(١) القصص الشعرية فى الأدب المصري الحديث نشأتها وتطورها صـ ٣٣٥- ٣٣٦ حسن عبد السميع محسن إشراف د / أحمد محمد الحوفى رسالة ماجستير دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٠ والتى طبعت فيما بعد بعنوان الشعر القصصي حسن محسن دار النهضة العربية طـ ١ – ١٩٨١ .

(٢) المرجع السابق صـ ٣٣٦ .

مما جعلهم يشهدون له ويسلمون بأمور ثلاثة :

قـــوة العاطفة ، حسن الصياغة، جمال الموسـيقي وفـى قصيدة الفتاة اليابانية :

أحسن رسم الصورة الحسية للفتاة اليابانية :

ذات وجه مرح الحسن به صفرة تشى اليهود الذهبـا
لا تلم كفي إذا السيف نبا صح منى العزم والدهر أبى

والحوار فيها ليس ضمنياً لم يصرح به بلفظ قـال – قالـت لكن بعد أن وصفها علق .

فأجابتني بصوت راعنى وأرتني الظبي ليثاً أغلبا

فالفتاة تنص على أن لها فائدة إن لم تكن القتال فهي علاج الجرحى ، وأجاد رسم ملامحها الفنية حين قال :

قطبت ما بين عينيها لنا فرأيت الموت فيـه قطبا

بها استلهام لبعض لأفكار التي وردت في قصـة مطـران " فتاة الجبل الأسود " . لكن مطران أبعـد عمقـاً ، وفكـراً ، وأدق تصويراً ، وانتهت نهاية بلا افتعال ، واستوفت عناصر القصـة ، من عقدة وتأزمها .... ثم حل .... لكن حـافظ سـاقها كنمـوذج ليتلفت الفتيات والفتيان لنهضة الوطن الـذي يحتـاج لسـواعدهم الفتية .

اللغة العربيـة *

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتى   وناديت قومي فاحتسبت حياتى[١]

رمونى بعقم في الشباب وليتنى   عقمت فلم أجزع لقول عداتى[٢]

ولدت ولما لم أجد لعرائسـى   رجالاً وأكفاء وأدت بنـاتى [٣]

وسعت كتاب الله لفظاً وغايـة   وما ضقت عن آى به وعظات[٤]

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة   وتنسـيق أسـماء لمخترعـات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن   فهل سألوا الغواص عن صدفاتى

فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني   ومـنكم وإن عـز الـدواء أساتى[٥]

فلا تكلونـى للزمان فإننـى   أخاف عليكم أن تحين وفاتى[٦]

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة   وكم عز أقوام بعـز لغـات [٧]

أتـوا أهلهم بالمعجزات تفننا   فيـا ليـتكم تـأتون بالكلمـات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب   ينادى بوأدى في ربيع حياتى[٨]

---

* ديوان حافظ صـ ٢٥٣ : ٢٥٥

(١) رجعت لنفسي ، أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إنني عدت إلى نفسي وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرتى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بي أن ينصرونى فلم أجد منهم سميعاً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى ، وليتنى كنت كما قالوا يحزنى قولهم ، وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

(٣) يريد " بالعرائس " : الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفنها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى ، وهو الطبييب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

(٧) يقال : هو فى منعة ، أى فى قوم يمنعونه ويحمونه .

(٨) الناعب : المصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة

ولو تزجرون الطير يوماً علمتم بما تحته من عثرة وشتات [١]
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتى [٢]
حفظن ودادى في البلى وحفظته لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق حياء بتلك الأعظم النخرات [٣]
أرى كل يوم بالجرائد مزلقا من القبر يدنينى بغير أناة [٤]
وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاتى[٥]
أيهجرنى قومى– عفا الله عنهم– إلى لغة لم تتصل برواة [٦]
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى في مسيل فرات[٧]
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائى بعد بسط شكاتى[٨]
فإما حياة تبعث الميت في البلى وتنبت في تلك الرموس رفاتى [٩]
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بممات

---

(١) زجر الطير ، هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك فى طيرانه ميامنه تفاءلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطيرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم ما يجر دفني عليكم من السقوط والانحلال

(٢) القناة:الرمح. ولينها : كناية عن الضعف . ويريد " بالأعظم" : من دفن فى الجزيرة من العرب الأولين .

(٣) النخرات : البالية المتفتتة .

(٤) المزلق : مكان الانزلاق ، أى السقوط والزلل . والأناة : التأنى والإبطاء ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .

(٥) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .

(٦) لم تتصل برواة ، أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التى تحفظها من التغيير كما هو الشأن فى العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التى كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٧) اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب .

(٨) الشكاة : الشكوى .

(٩) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ، يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

فى هذه القصيدة تتحقق نظرية " الوحدات الثلاثة ، وحـــدة الموضوع ، المكان ، وحدة الزمان ، تلك التي كـــان يتقيـــد بهـــا الكلاسكيون الفرنسيون " [1] حيث إن الموضوع كلـــه وقـــف فـــي الحديث عن اللغة العربية مقوماتها ومميزاتها .

فها هي سيدة شابة جميلة أنجبت ولم تجد أكفـــاء لبناتهـــا فوأدتهم ومع ذلك اتهمت بالعقم ثم يتخلى عـــن المجـــاز ويســـند الحديث إلى صاحبة الحق التي تفاخر .

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن أي به وعظات

---

(١) فصول فى الشعر ونقده د / شوقى ضيف صـ ٣٤٧ دار المعارف ط ٣

الجمعية الخيرية الإسلامية *

قضيــت عهـــد حداثتـــى		مـــا بــين ذل واغتـــراب
لم يغـــن عنى بين مشــ		ــرقها ومغربهـا اضـطراب[1]
صفــرت يــدى فحوى لها		رأسى وجــوفى والوطــاب [2]
وأنا ابن عشـــر ليس في		طــوقى مكافحــة الصــعاب [3]
لم يبق من أهلى ســـوي		ذكـــر تناســـاه الصـــحاب
أمشى يرنحنـــى الأســـى		والبؤس ترنيـــح الشراب [4]
فلكم ظلـــلت على طوى		يومى وبــت علـى تبـاب [5]
والجـــوع فراس لـــه		ظفــر يصــول بــه ونــاب[6]
فكأنـــه في مهجتـــى		نصـــل تغلغـــل للنصـــاب [7]
ولكم صحبت الأبيضيــ		ــن فأبليـا بـرد الشـباب [8]
فـــإذا ظفرت بكسرة		فإدامها منى لعاب [9]

---

* ديوان حافظ ٣٠٢ : ٣٠٦
(١) الاضطراب فى الأرض : التردد فيها جيئة وذهاباً .
(٢) صفرت يدى : فرغت ، وخوى : خلا ، ويريد " بالوطاب " وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .
(٣) الطوق : الجهد .
(٤) يرنحنى ، أى يميلنى يمنة ويسرة . والأسي : الحزن .
(٥) الطوى : الجوع . والتباب : الخسران .
(٦) فراس : شديد الافتراس .
(٧) تغلغل النصل فى الشيء : دخل فيه ونفذ إلى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما المقبض .
(٨) الأبيضان : الماء والخبز ، قال الشاعر :
الأبيضان بردا عظامى		الماء والفت بلا إدام
(٩) الإدام : ما يؤتدم به فى الطعام .

وعلــــى طمر لو هفت ريح الشــمال بــه لــذاب (١٠)
فحروقــــــة ومصائبى فـــى العــد يخطئهــا الحســاب
مازالــت أوسع محنتى صبراً وأحتمل العــــــذاب (١)
حتى تنفس صبــح إقــ ــبالى ونجم النحس غــاب (٢)
ولكــــل سيف مصلت لحـــوادث الـــدنيا قــراب (٣)
والعيـــــش في إقبالـــه شهد وفى الإدبــار صــاب (٤)
فتلقفتنـــــــــــى فتية رحـــب الشـــمائل والجنــاب (٥)
مهـــــدوا لأنفسهم بما صنعوه زلفـــى واحتســاب (٦)
وعدوا إلى الحسنى كما تعـــدو المطهمـــة العـــراب (٧)
كم أسرة ضاق الرجــا ء بهـــا وأعياهـــا الطـــلاب
دقــــوا عليها بابها والليل مســـــــدول النقاب (٨)

---

(١٠) الطمر : الثوب البالى من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .
(١) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب .
(٢) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ، وهو استعمال مجازى
(٣) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقراب السيف : جرابه . يريد أن كل شدة إلى انتهاء ، وكل عسر إلى يسر .
(٤) الشهد : عسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة ، يريد أن العيش حلو فى إقباله ، شديد المرارة فى إدباره .
(٥) يريد " بالفتية " : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية .
(٦) مهدوا لأنفسهم ، أي كسبوا لها خيرا . والزلفى : القربي . والاحتساب ، هو أن تقدم عملاً صالحاً تحتسبه عند الله ، أي تدخره ولا تبغي عليه جزاء من الناس . ويلاحظ أن الوقف هنا بسكون الباء فى آخر البيت على غير الأفصح ، وقد دعت إليه الضرورة .
(٧) عدوا : أسرعوا . والمطهم من الخيل : الذي تم حسنه وبرع فى الجمال . والخيل العراب : الكرائم السالمة من الهجنة .
(٨) يريد بقوله " مسدول النقاب " : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف فى خفية وتكتم ، وذلك أفضل الإحسان .

وتعاهــــــدوا مثلما   يتعاهــد النبــت الســحاب [٩]

وجمال صنــع البــرآ   لا يستشـــف لــــه حجـــاب

فتحوا المــــدارس حسبة   وتنظــروا حســن المـــآب [١]

فيها تبينت الهــــدى   وقـــرأت (فاتحـــة الكتـــاب)

وبها صدفت عن الضلا   لة واهتديت إلـــى الصــواب [٢]

وغــــدوت إنســـاناً تجملـــــه الفضـــائل لا الثيـــــاب

متبصرا ذا فطنـــــــة   تنفـــى القشـــور عـــن اللبـــاب

(جمعية خيريـــــــة)   قامـــت لتخفيـــف المصـــاب

قد كان فيها (عبـــده)   غوثـــاً يلبـــى مـــن أهـــاب [٣]

لم يدع مسماحاً إلــــى   إنعاشـــــها إلا أجــــاب [٤]

مـــا غاب عنها مـــرة   حتـــى تغيـــب فـــي التـــراب

و (لعاصم) أثـــر بها   باق وذكـــــــر مســتطاب [٥]

قـــــد كان يحميها كما   تحمـــى مجاثمهـــا العقـــاب [٦]

ثبتت وكـــــــان ثباتها   يدعو إلى العجب العجاب

---

(٩) تعاهدوها : تفقدوها بالبذل والمعونة .
(١) تنظروا : انتظروا وارتقبوا .
(٢) صدف عن الضلالة : أعرض عنها .
(٣) يريد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وكان أقوى مؤسسى الجمعية الخيرية وأعظم .
(٤) المسماح : الكثير السماح .
(٥) يريد " بعاصم " : المرحوم / حسن عاصم باشا .
(٦) مجاثم العقاب : مواضعها التى تنزل بها ، الواحد جثم ، يقال : جثم الطائر ، إذا لزم مكانه فلم يبرحه ، أو تلبد بالأرض . والعقاب : طائر من الجوارح ، والعرب تسميه الكاسر .

والشرقي أورث أهلـــــه … حب التقلب والخلاب [٧]

فينا على كـــــرم الطبـــا … ع ونبلها طبع يعاب

داء التواكل وهو في الـــ … ـعمران داعية الخراب

ثنبتت لأن لها إلـــــى … أعتاب مولانا انتساب [١]

لولا (حسين) لم تـــدم … إلا كما دام الحباب [٢]

الله أدركها بــــــه … بحرا موارده عذاب

يا واهب الآلاف كـــم … طوقت بالمنـــن الرقاب

لك ساحة علويـــــــة … ما أمها أمل وخاب [٣]

مهدت للأخيار ميـــــ … ـدان السابق إلى الثواب

لازلت في القطرين محـــ … ـروس الأريكة والركاب [٤]

حضر حافظ الحفل ... ولم يتخذ الطريق السهل يعدد مناقب الجمعية ، والخير الذي تقوم به للناس ، بل لجأ إلـــى التشـــخيص والتجسيد ، حيث جسد أمام المتلقين حال طفل يتيم يعاني الضـــياع بطنه خواء إلا من لقيمات يشرب عليها الماء ، وبدنه خواء إلا من

---

(٧) الخلاب : الخداع .

(١) يريد بقوله : " مولانا " السلطان حسين كامل ، وكان رئيساً لها أيام كان أميرا . والوقف على قوله : " انتساب " بسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصيح ، وهي لغة ربيعة ، فإنهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقاً ، أي سواء أكان منصوباً كما في هذا اللفظ ، أم مرفوعاً أم مجروراً .

(٢) الحباب : فقافيع الماء التى تعلوه .

(٣) علوية:نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة .

(٤) القطران : مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك .

أطمار بالية لو هبت ريح ضعيفة أو نسيم رقيق لمذقها من فرط تقادمها وبليانها .

إذا الجوع يفترسه وليس جوعاً عادياً بل جوعاً نصله قوى تغلغل في أعماقه ، ومع ذلك ظل محتملاً هذا بلا اختيار فهو بعد ابن العاشرة الذي لم تقو ساعداه ... لكن في قرارة نفسه يدرك أن لكل شيء نهاية وبعد العسر يسرا ، وقد عاني العسر كثيراً فإذا باليسر يجسد في أيد أصحاب الجمعية الخيرية أولئك النفر الذي يعملون الخير حباً فيه لا رغبة في جزاء ، ثم يشير إلى أنشطة الجمعية :

١. رعاية الأيتام وكفالتهم لديها .
٢. رعاية الأسر وإمدادها بما تحتاج في أماكنها .
٣. فتح المدارس لتحفيظ القرآن ، حفظ النشأ وحمايته من الضلال، كل ذلك في طي الكتمان ويمت جنح الظلام دون أن يذيعوا ذلك ، وهى هنا قصة فيها لحظة تنوير وهي الحدث الأهم لأنه فعل إرادى وإنساني " إن كل قصة ينبغي أن تشتمل على موقف إنساني يتطور نتيجة لفعل إرادي وقد يتكون الفعل من حركة مادية ، أي عمل ملموس ، وقد يتكون من حركة نفسية أي اعتزام وقصد ، يتطور حتى يصل إلى لحظة التنوير . وأما

الموقف الإنساني أو تعريف الموقف في الفن عموماً فهو تواجـد عدة قوى مادية أو معنوية تتجاذب وتتصارع ويكـون حـل هـذا التجاذب أو الصراع رهناً بالفعل الإرادي " [١] وهو ما فعله الراوي حيث وضع حلاً بالذهاب بالمحتاج إلى هذه الدار .

ثم عرج على مدح القائمين بالأمر علـى رأسـهم صـديقه الغالي "محمد عبده " الذي خبر البشر فلجأ إلى أهل السماحة الذين كانوا عند ظنه فأمدوه بما يحتاج ، ثم " حسن عاصم باشا " الـذي خالف سنة الشرق في التقلب والتغير فأثبتها على مكانتها ، ثم بعد ذلك يعطف إلى تمجيد السلطان وشكره وتقريظه .

انتهج فيها حافظ نهجاً جديداً " لم يكن شعر حافظ في دعوى إلى الخير مجرد ناظم أو بوق يرفع فيه صوته ، فقد امتـزج فيـه الفن الرفيع بالغرض الطيب ، وترك حافظ في شـعره الاجتمـاعي آثاراً فنية جيدة تنطق بحسن تأتيه ولطيف مداخله ، وتضم تصويراً جيداً لأحوال البوساء [١] .

وفى القصيدة ملمح وفائي حيث لم ينس " محمد عبده " الغائب بوجود " السلطان حسين " الحاضر بـل أورد ذكـره أولاً ، فهـو الغواث الذي طالب الغوث من أهل السماحة كذلك " عاصم باشا " .

---

(١) الأدب وفنونه صـ ٩٦ د / محمد عناني الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١

(١) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ٧٨ .

نظرات في القصيدة : مأساة الإنسان تتجلي في هذه القصيدة وهي الشغل الشاغل لحافظ شأنه شأن الشعراء التعبيريين " يبحث عن حقيقة وهمية وعن استقرار مستحيل وقد أحس أدباؤنا المعاصرون أنه جميل المأساه وجيل القلق ، فعكسوا مشاعرهم وأحاسيسهم بكافة أبعادها وأغوارها السحيقة وصور معاناتهم الفكرية وتجاربهم الحياتية بكل ما فيها من قلق وحيرة ورفض " (١)

وهو هنا يتأمل حاله في الماضي وما فعله به الفقر من أفاعيل حتى وصل إلى المرحلة الفاصلة .

فتلقفتنى فتيه رحب الشمائل والجناب

ونلاحظ هنا نظرة حافظ كلية تساق أجزاؤها في ثنايا قصيدته ويضم بعضها إلى بعض فتعطي الصور الكلية ، فقد ساق التفاصيل فهو صغير محتاج ، بطنه خاوية ، ملابسه بالية قدماه ضعيفتان غير ساعية ، يداه رقيقتان فهي بعد في سن لاهية .

" ولا نكاد نحس اضطراباً أو خللاً أو تناقضاً بين تلك الصور ، لأنها تساير التيار العام الذي يشيع في جو القصيدة وبذلك نحس بالتكامل بين الأجزاء والتجانس بين الصور " (٢)

---

(١) الشعر السياسي فى مصر من ثوره عرابي إلى الحرب الأولي صـ ٦٣ عبد المنعم محمد تليمه سهير القلماوى رسالة ماجستير ١٩٦٤ .

(٢) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٦٣ .

التي عدلت ميزان الحياة المقلوب لديه ، وأثني في عجالة على أصحابها وأعمالهم .

الصياغة الفنية : تميزت في الكلمة وفى العبارة مما يعكس الحس العالي والتأثر الشديد بالتجربه المتحدث عنها .

فالكلمات موحية ، والعبارة خصبة تنطوي على حس رمزي وبعد فكري ، وهناك نضج تعبيري يشهد بنضج الموهبة ، وكثافة المعاني تشير لكثافة التأثر وحدته في نفس حافظ الذي قذف على لسانه ، وهي وإن شملت على تقريظ للشخصيات الخيرة إلا أن الهدف الأساسي من تجسيد وتشخيص الشخصية المستفيدة من أعمال البر هذه لم تسقط أو تضيع أو تفتت في طول القصيدة وغزارة معانيها ، وهذا يرجع إلى قوة البناء اللغوي الذي " يعتمد على مجموع العلاقات القائمة بين الجمل والعبارات التي تشكل معمار القصة وبنائها الفني ، وتكتسب القصة جمالياتها الفنية حين يكون نسيج القصة متماسكاً معبراً ، وحين تكون الكلمة أو العبارة في مكانها المناسب ، وبحيث ترتبط فنياً أو نفسياً مع بقية أجزاء القصة، وتشكل بالتالي بناءً لغوياً جميلاً ، وصياغة فنية معبرة ومتماسكة"(١)

---

(١) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر صـ ٩٦ .

الصيغ التعبيرية

الجـــوع فراس له ظفر يعــول به ونـــاب
فكأنه في مهجتـــــى نصل تغلغل للنصـــاب
ولكم صحبــــت الأبيضين فأبليا بـــرد الشباب
العيش في إقبـــالـــه شهد وفـــى الأدبار صـــاب
والليل مسدول النقاب
قـــد كان يحميها كمـــا تحمـــي مجاشمها العقـــاب

وهكذا ... الأسلوب يأتى بهذا الشكل البلاغى الجميل .

حاول حافظ أن يجعل الاستعارة وسيلة لإبراز الفكرة وتوضيح المعني ، وكان يستخدمها في كل مناسبة تقتضى روعة التصوير ، والاستعارة في شعر حافظ مملوءة بالحياة والشعور النفسي والحركة والصورة التامة ، بحيث تؤدي الغرض وتصل أعماق النفوس ، ليست استعارة جامدة تعتمد على رصف الكلمات وتنظيم العبارات " (١)

لقد برع حافظ في اختراع إطار قصصي لكثير من قضاياه مكنه من طرح أفكاره في أمور شتى بصورة غير مباشرة ، وكان هـذا الإطار القصصي بفضل تحريكه خيال السامع والقارئ أقدر على

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار إشراف د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ رسالة ماجستير ج أزهر لغة عربية .

جذب اهتمامهما من الأسلوب المباشر في طرح الفكرة والتعبير عن المعني ، ومن أسلوب البث الذاتي ، والأسلوب الخطابي الملئ بالحث والوعظ ، وكثيراً ما يلجأ حافظ للأسلوب القصصي لطـرق القلوب وتهيئة النفوس ، فنراه يستهل قصائده بمطلع لافت للأنظار مخضع للقلوب مما يمهد لطرح دعوته لدي المتلقين .

ونلاحظ هنا :

على الرغم من أن القصيدة تكشف عن موقف حكي صادر مـن شخصية متوهمة إلا أن ذلك " يتم انطلاقاً من لغة شعرية مهيمنـة يقول تودوروف تقوم روح البراعة الشعرية في جميع مسـتويات اللغة على عودات دورية التوازى .... ليست القصـيدة قصـة أو خبراً بل هي شعر يحتفظ بخصوصيته ، وكان في الوقـت نفسـه يمتح من السرد بعض سماته ومكوناته لأغراضه النوعية " [١]

والكلمات في القصيدة سهلة قريبـة بعيـدة عـن الصـعوبة، والمعاني مفهومه لا التواء فيها وقد يأتي المعني على بيتين كمـا حدث في :

الجوع فراس له	ظفر يعول به ونــاب
فكان في مهجتى	نصل تغلغل للمصاب

(١) نقد النقد صـ ١٠ .

" إن لغة القصيدة الجميلة وإيقاعها وانتظامها وكل مظاهرهـا الفنية تجعلها دوماً عالماً يميل إلى نفسه وليس الموقـف النفسـي الحميم الذي يثار من نفس المتلقين من حكاية الصبي إلا تجسـيداً لعدة أفكار تمور في ذهن الشاعر ويـدركها الحضـور ولكـنهم لا يجدون التعبير عنها – الفقر الذي يشيع في المجتمع فقسمه إلـى طبقة مترفة تعتلى القمة ، وطبق محتاجة تنتعل السفح .

والسارد هنا يحكي ويخلق عالماً غريبـاً شـديد الإثـارة .... ووظف جملة من الأدوات لذلك ... إدراج الأفعال في تسلسل يعكس العلاقة التي تقوم بين الأحداث من خلال روايتها والربط فيما بينها .... قضيت .... صفرت يدي – تناساه – ظلت – بت – تغلغل .... صحبت ... أبليا ... فقد تحققت هذه الأحداث ووقعت عليه سـابقاً ثم أفعال المضارع أمشي – يرنحني– ظفرت .. وهكذا ينتقل بـين استعمال أفعال الماضي والمضارع في إيقاع العلاقة السببية التـي تحكم القصيدة .

{ يتيم يعانى الفقر والجوع والعوز سبب الحزن } [يتلقفه فتية كرام نتيجة تسوق له الفرح]

وتبدل الأحوال مما ينشأ عنه تمجيد صـــنع هـــذه الجمعيـــة ومباركة الصانعين ، ولا شك أن الإطار القصصي كان إطاراً موفقاً لبث الفكرة الأساسية ، واستطاع حافظ أن يدخل في أسرار القلـــب الإنساني وإثارة ما خفي على الإنسان العادي مما خبوء في حنايـــا القلوب من الميل الطبيعي إلى فعل الخير والهش له .

رعاية الأطفال *

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال　　لا ، بل فتاة بالعراء حيــالي [١]

أمست بمدرجة الخطوب فما لها　　راع هناك وما لها من والي [٢]

حسرى ، تكاد تعيد فحمة ليلها　　نــاراً بأنــات ذكــين طــول[٣]

ما خطبها، عجبا، وما خطبى بها؟　　مالى أشاطرها الوجيعة مالي؟[٤]

دانيتها ولصوتها في مسمعــى　　وقع النبال عطفن إثر نبــال [٥]

وسألتها : من أنت ؟ وهى كأنها　　رسم على طلل من الأطــلال [٦]

فتململت جزعا وقالت : حامل　　لم تدر طعم الغمض منذ ليــالي

قد مات والدها ، وماتت أمها　　ومضى الحمام بعمها والخال[٧]

وإلى هنا حبس الحياء لسانها　　وجرى البكاء بــدمعها الهطــال

فعملت ما تخفي الفتاة وإنما　　يحنو على أمثالها أمثالي

ووقفت أنظرها كأنى عابــد　　فــى هيكل يرنو إلى تمثــال[٨]

---

* ديوان حافظ إبراهيم صـ ٢٧٥

(١) العراء (بفتح العين) : الفضاء الذي لا يستتر فيه بشيء .

(٢) مدرجة الخطوب ، أى طريق النوائب .

(٣) ذكين ، أى توقدن واشتعلن .

(٤) ما خطبها ، أى ما شأنها .

(٥) عطفن : رجعن .

(٦) الرسم:أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال فى النحول والضآلة

(٧) الحمام : الموت .

(٨) يرنو : ينظر .

ورأيت آيات الجمال تكلفــت بزوالهن فوادح الأثقال [1]

لا شيء أفعل في النفوس كقامة هيفاء روعها الأسي بهزال

أو غادة كانت تريك إذا بــدت شمس النهار فأصبحت كالال[2]

قلت:انهضى،قالت:أينهض ميت من قبره ويسير شن بالى؟ [3]

فحملت هيكل عظمها وكأننى حملت حين حملت عود خلال

وطفقت أنتهب الخطا متيمما بالليل (دار رعاية الأطفال)[4] أمشى وأحمل بائسين:فطارق باب الحياة ومؤذن بزوال [5]أبكيهما وكأنما أنا ثالــــث لهما من الإشفاق والإعوال [6]وطرقت باب الدار لا متهيبا أحداً ولا مترقبا لسؤالطرق المسافر آب من أسفاره أو طرق رب الدار غير مبالي

وإذا بأصوات تصيح : ألا افتحوا **دقات مرضى مدلجين عجال[7]**

وإذا بأيــــد طاهرات عودت صنع الجميل تطوعت في الحال

جاءت تسابق في المبرة بعضها بعضا لوجه الله لا للمال

---

(١) يريد " بفوادح الأثقال " : نوائب الدهر التى لا تحتمل لثقلها .
(٢) الآل : السراب .
(٣) الشن : القربة الخلق البالية .
(٤) انتهب الخطا ، أى أسرع فى السير . ومتيمما : قاصدا .
(٥) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد " بالمؤذن بالزوال " : أمه .
(٦) الإعوال : البكاء .
(٧) المدلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

فتناولت بالرفق ما أنا حامـــل   كالأم تكلأ طفلها وتوالي [1]

وإذا الطبيب مشمــر وإذا بهـــا   فوق الوسائد في مكان عالي

جاءوا بأنواع الــدواء وطوفـــوا   بسرير ضيفتهم كبعض الآل

وجثا الطبيب يجس نبضا خافتـــا   ويرود مكمن دائها القتال [2]

لم يدر حين دنا ليبلـــو قلبهـــا   دقات قلب أم دبيب نمال [3]

ودعتـــها وتركتـــها في أهلهـــا   وخرجت منشرحاً رضي البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا   للباقيات وصالح الأعمال [4]

لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها   تلك المروءة والشعور العالي

خير الصنائع في الأنام صنيعة   تنبو بحاملها عن الإذلال [5]

وإذا النوال أتى ولم يهرق لـــه   ماء الوجوه فذاك خير نوال

من جاد من بعد السؤال فإنـــه   - وهو الجواد- يعد في البخال

لله درهم فكم من بــــــائس   جم الوجيعة سيء الأحوال

ترمى به الدنيا،فمن جوع، إلى   عرى ، إلى سقم ، إلى إقلال

---

(١) تكلأ : تحفظ وتحرس . وتواليه : تتعهده وتحنو عليه .

(٢) جثا يجثو : جلس على ركبتيه . والخافت : الضعيف . ويرود : يطلب ويتعرف . ومكمن دائها : حيث يختفي الداء من جسمها .

(٣) يبلو : يختبر .

(٤) تجرد للأمر : أخلى نفسه له . والباقيات : المأثر التى تبقى بعد صاحبها

(٥) الصنيعة: الإحسان . " وتنبو بحاملها " الخ ، أى تبعد بمن تقلدها عن الذل

عين مسهدة وقلب واجــــف نفس مروعة وجيب خالي [1]
لم يدر ناظره أعريانا يـــرى أم كاسياً في تلكم الأسمال؟ [2]
فكأن ناحل جسمه في ثوبـــه خلف الحروق يطل من غربال
يا برد ، فاحمل ، قد ظفرت بأعزل يا حر ، تلك فريسة المغتال[3]
يا عين سحى ، يا قلوب تفطرى يا نفس رقى يا مروءة والي
لولاهم لقضـــــى عليه شقاؤه وخلا المجال لخاطف الآجال[4]
لولاهم كان الردى وقفا علـــى نفس الفقير ثقيلة الأحمال
لله در الساهرين على الألَـــى سهروا من الأوجاع والأوجال[5]
القائمين بخير ما جاءت بـــه مدنية الأديان والأجيال
أهل اليتيم وكهفه وحماتــــه وربعي أهل البؤس والإمحال[6]
لا تهملوا في الصالحات فإنكم لا تجهلون عواقب الإهمال
إنى أرى فقراءكم في حاجــة - لو تعلمون - لقائل فعال

---

(١) ممهدة : ساهرة . والواجف : الخائف . والمروعة : المفزعة .
(٢) الأسمال : الخرق البالية .
(٣) الأعزل : الذي لا سلاح معه . ويريد به العاري من الثياب . يقول : أيها البرد احمل على هذا العارى وهاجمه فليس لديه ما يتقيك به .
(٤) خاطف الآجال : الموت .
(٥) الأوجال : المخاوف .
(٦) الكهف : الملجأ والمحتمى . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزله الربيع أي خصب وخير. والإمحال : الجدب .

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم ميدان سبق للجـواد النـال [١]
والمحسنون لهم على إحسانهم يوم الإثابة عشرة الأمثـال [٢]
وجزاء رب المحسنين يجل عن عد وعـن وزن وعـن مكيـال

حافظ يروى للحاضرين إحدى حكاياته عارضاً أول مشاهدها هذا المشهد يلتقط صوراً رآها كمتفرج وعرضها على المتلقين ثـم أوضح أنه إيجابى فلم يكتفى بالفرجة بل عمد إلى استيضاح أمرها فربما تكون مثله تستوجب العطف " يحنو علـى أمثالهـا أمثـالي ووصفها بالجمال – الذي ضاعت معالمه فهي غادة كانت تريك إذا بدت جمالاً آخذاً ليشد النفوس ، وتنجذب أذان المتلقين ، أن النفس تأنس لكل جميل وتهش له " إنه ليعز عليها أن نرى هذا الجميـل الحسن مبتزلاً ممتهناً ، وليس تعاطفها مع القبيح كتعاطفهـا مـع الجميل سواء بسواء " كذلك يلفت النظر إلى أن الجمـال لابـد أن يدرك قبل الهلاك ، فقد تبين أن العوز والجمال تلفت نظر الخبثاء ، وتكون بداية الضياع فهي مستهدفه من المتصيدين .

واستلهم المتنبي في قوله :

---

(١) الجواد : الكريم . والنال : الكثير النائل وهو العطاء .
(٢) الإثابة:الجزاء ويشير إلى قوله تعالي:(من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

كفى بجسمي نحولاً أننى رجل لولا مخاطبتى إياك لم ترنى

فقال :

فحملت هيكل عظمها وكأنني حملت حين حملت عود خلال

وقد اعترض أحدهم على تصنيف هذه القصيدة كقصة وعلل ذلك بأن الغنائية تغلب عليها – الأفكار معروضة بأسلوب سهل تقريرى مباشر ، الخيال تسجيلي سطحي – بصرى ليس بها تحليق يشد المشاعر وإن لم تخل من بعض الطوابع القصصية الفاصلة

ويستطرد في وصف تلك المرأة مبيناً آثار الضعف الذي بدأ عليها ، ثم سألها عن حالها في عبارات قوية آخاذه تنم عن خيال مواتى وحس مرهف " فحملت هيكل عظمها ، يدل على ما كان عليه حال تلك المرأة من الضعف والتهالك حتى أنه يشعر بأنه لا يحمل شيئاً (١)

وحافظ دقيق في اختيار ألفاظه فنكر " فتاة " ليدل على أنهن كثيرات قد يلتقيها كل سامع في مشيه " هذه القصيدة صورة فنية أكملت فيها كل عوامل الشعر من خيال مبتكر جديد مزود بعاطفة قوية وشعور غزير وقد لبست صورة أدبية رائعة كان لها أكبر الأثر في النفوس " (٢)

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٨٧ .
(٢) المرجع السابق صـ ٢٨٧ .

يصف في حكاية :

ووقفت أنظرها كأني عابد   فى هيكل يرنو إلى تمثال

فهذه المشاهد المتوالية تصل بنا إلى قمة العقدة الملتحمة بالفرج فهو يتلفت فلم يجد لها حلا سوي مكان ينبض بالأمن ويشع بالطمأنينة .

دار رعاية الأطفال : قلت انهض

هنا هيأ الحاضرين لما سيلقيه بعد ... وكأنهم يحبسون أنفاسهم انتظاراً لما سيقوله بعد ... فإذا اطمأن إلى ذلك لجأ إلى عرض الأعمال الجليلة التي تقوم بها الدار ليقينه من أن الآذان صاغية ، والأذهان حاضرات ، والقرائح متهيئات للتلقي .

فيتولد عن ذلك مطالبة الحضور بأكثر من التعاطف السلبي بالتعاطف الإنساني والمشاركة في الأنشطة الإنسانية فتسخوا النفوس برضا وحب ، حيث جسد ببراعة مآل ما سيتبرعون به من كف الأذى، ومسح الدمعة، وجلب الفرح على المحتاجين ثم يقول :

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم   ميدان سبق للجواد النالى

فهي دعوه مؤخرة قصداً لتبلغ مقصدها من التأثير وتجعل الجواد والبخيل يجودا ... وهنا تبين شيئان :

أولاً : لو سكت حافظ على ما نص عليه صراحة من إثابة المعطى والدعوة إلى فعل الخير لفهمت من خلال تصويره البارع للموقف .

ثانياً : لو اعتلى المنبر اللفظي وخطب في الحضور من ضـــرورة البر والجود ما بلغت من التأثير في الحضور ثم في الأجيـــال المطالعة التي تأثرت بها على رغم كر الليالي وعـــدو الأيـــام ... فالموضوع قديم والنصح دائماً ثقيل على النفوس ، ناهيك عن محدودية الموضوع وضيقه على خيال الشعراء .

على الرغم أن هذه القصيدة تكشف عن عالم متخيل فإن ذلك تم إنطلاقاً من لغة شعرية مهيمنة تتحكم فيها التوازيـــات الدلاليـــة والصوتية ، يقول تودوروف تقوم روح البراعه الشعرية في جميع مستويات اللغة على عودات دورية التوازى [١] .

وهو هنا انتقل بالمتلقين من عالم التأثير الذاتي " الجـــواني " الداخلي إلى العالم البراني الخارجي ، فمن خلال الوقائع هذه الفتاة تكالبت عليها الظروف وانهالت عليها الكوارث حتى دعتها إلى أن تعترف صراحة بأنها ماتت ... قالت :

" أينهض ميت من قبره ويسير شن بالي " ؟

إذا كان الشاعر في قصته يصور موقفاً ويـــرد حكايـــة فإنـــه بالضرورة يحيل إلى عالم خارجي ولو سلمنا مع ياكبسون بأن

---

(١) نقد النقد صـ ٢٨ .

الرسالة في وظيفتها الشعرية لا تحيل إلا علـــى ذاتهـــا فـــإن الأحداث الواردة في القصيدة تكون مفرغة من معانيها المرجعية ، أي من إحالتها على العالم الخـــارجي ، وبـــذلك تتمثـــل الوظيفـــة المرجعية فيها إلى الغياب باستمرار " [١] .

وفى القصيدة تكرار منغم ترمي به الدنيا فمن جوع إلـــى ... عرى .... إلى سقم ... إلى إقلال ... تقسيم جميل داخلي وخارجي عين مسهدة وقلب واجف نفس مروعة وجيب خالي

فالعين التي لم تنم لا تخفي على ناظر ، والجيـــب الخـــالي الذي يصرخ صاحبه بالاحتياج تدل عليه القرائن الظاهرة ... ليس هذا فحسب بل هناك عاملان أقلقا الفتاة فقلبها يصرخ من الخـــوف ونفسها مروعة من عصيب موقفها .

" لقد توافرت لهذه القصيدة كل مقومات العمل السردى الذي حدده جيرار جينيت بأنه عرض لحدث أو سلســـلة مـــن الأحـــداث واقعية أو خيالية بواسطة اللغة ، وخاصة اللغة المكتوبة .. أو كما تحدد عنه صاحباً نظرية الأدب بصفته التابع السببي الزمني "

---

(١) مقاله السرد فى الشعر القصصى القديم هشام مشيال

مشى الشاعر فيجد الفتاة الشبح

سبب نتيجة

يأخذها للجمعية اكتشاف تفانيهم في فعل الخير

سبب نتيجة

يدعو الناس للتبرع يتبرعون لمعرفة مصير تبرعاتهم

سبب نتيجة

وهنا تداخلت الأنواع الأدبية" إن الشاعر وإن استخدم القص فهو لا يصوغ شعراً موضوعياً بل تظل تلك السمات المنتزعة من أنواع أدبية أخرى حبيسة القوالب الثابتة للشعر، وإن كانت الوظيفة الإحالية في القصة الشعرية تؤدي دورها فإنها تظل خادماً للوظيفة الشعرية [(١)]

فحافظ هنا يجسد معني .... في لغة موسيقية تتجسد فيهـا الغنائية ، حيث إن الشاعر يعزف على وتر إحساسه الذي هز حتماً أحاسيس المستقبلين من لغة يسيطر عليها الإيجـاز ويشـيع فـي أرجائها التكثيف المتبدى في عناصر فنية حساسة مثـل الإيقـاع الرنين الصوتي مما يخلف في نهاية الأمر نغمـة كفيلـة بإثـارة المتلقي من خلال البحر والوزن وإيقاع اللياقة على حد قول نـور ثروب فراى[(٢)]

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٧٧ .

(٢) سمة الغنائية وزن القصيدة الشعرية ١٣ الأصمعيات للأصمعي ت . أحمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف مصر ط ٤ صـ ٥٨ .

وحينما يصور موقفه وتصرفه يقول في لغة سهله .

من جاد من بعد السؤال فإنـــه - وهو الجواد- يعد في البخال
لله درهم فكم من بـــــــائس جم الوجيعة سيء الأحـــوال
ترمى به الدنيا،فمن جوع، إلى عرى ، إلى سقم ، إلى إقـــلال

إذا كان " الشعر بناء لغوى يتميز فيه الشاعر عـن غيـره بحسن استخدامه وتنظيمه عناصر هذا البنـاء " (١) فـإن حـافظ إبراهيم لا يسـتهين بلغـة الأدب المنطوقـة كالفاكهـة والنـوادر ويستشهد باللغة البسيطة في شعره مثل تعبيره " ترمى به الدنيا " (فالعبارات المألوفه التي تتردد كل يوم ولا تحمل معنـي جديـداً لتطرب الأكثرية لأنها توهمها أنها تعلم وهي لا تعلم وتورد عليهـا ما تجده " على طرف ألسنتها " وفى هذا إرضاء لغرورها) (٢) .

فاللغة سهلة بسيطة يتلقها المتلقي دون عنـاء ، والجمـل متراصه بشكل تسلسلى " فاختيار الوزن في الشعر الانشادى يمـلأ شكل التنظيم البلاغي ، إن الشاعر يطور مهارة لا واعية تمنحـه عادة التفكير ضمن الوزن ، وبالتالي يغدو حراً للقيام بأمور أخرى

---

(١) مجلة فصول شوقى وحافظ جـ ٢ المجلد الثاني صـ ٦ – ١٩٨٣ .
(٢) المرجع السابق مقال د / شكرى عياد صـ ١٧ .

كسرد قصة أو شرح أفكار ، أو إدخال التعديلات التـــي تقتضـــيها اللياقة (١)

إن الإيقاع النابض الذي يميز القصيدة ويحقق لها غنائيتها يتخلله سرد وظف لغاية فنية بالغة الأهمية ، تتمثل في جذب انتباه القارئ لصورة القصيدة الكلية وفكرتها ، وخلق نوع من التسلسل الذي يواكبه ترتيب ذهن القارئ لمتابعة الأحداث التـــي يتضـــمنها المتن الشعري، كما تعطينا هذه الأبيات ... انطباعاً بأننا أمام حكاية متحررة من سرد الفضاء أو لوحه من الصور تتلمسها فيما يلي :

لقاء السارد بالفتـــــاة

وصـــــف للفتاة بأنها

حوار السارد مع الفتاة

فنحن بإيزاء أربعة مشاهد ، مشهد واحد فيه حركة وفعـــل وباقي المشاهد وصفية ثابتة المكان – غائب – الزمان لم يذكره .

والمعروف أن في السرد لا يمكن أن يتخلف عنصر المكـــان وينسب المكان إلى الفضاء ... فالفضاء هو الـــذي يحكـــم القـــص ويعكس تحولات الشخصيات ، إن له لغته الخاصة ووظيفته التي لا يمكن لعمل سردي أن يستغني عنها .

---

(١) تشريح النقد ت . وتقديم محي الدين صبحي الدار العربية للكتاب ١٩٩٦ صـ ٣٧٦ نور ثروب فراى .

لكن في القصيدة هذه الفضاء يمتلك طبيعة مغايرة متفتحة قابلها الشاعر في مكان كذا .

وقد يقابلها المتلقين في مكان آخر

فالكون كله مكان لها – له من الممكن لقياها فيه .

فالفضاء هنا ... فضاء العبارة أو الجملة وفضاء الوصف حيث الشاعر والصور الجميلة والمواقف الحميمة ، وليس فضاءً خارجياً أو موجهاً كما هو في السرد ، حيث يقوم الراوى بتحديد الإطارين الزماني والمكاني لقصته بترابط مع باقي العناصر الفنية وكما تبين من خلال هذه الأبيات فالقارئ يشعر أنه بصدد نص تائه في الزمان ، نص بلا بداية أو نهاية ، قد يحدد يوم لقائه بها ... لكن حتى هذا التاريخ رمزى طبيعته طبيعية إحالية ، يحيل للقارئ الفكرة ويعرض عليه أنه قد – يلقاها – فهو زمن ثابت متوقف قد يتكرر مع الجميع ، إن زمن الشعر يخضع للزمن التاريخي ويختار منه ما يتوافق مع ما يناسب تخيله الخاص حيث يخضع الزمن الشعري الزمن التاريخي لغايته الخاصة ولبيئته .

لم يحدد هنا مبتدأ اللقاء لكن حدد منتهاه بتسليمها لأهل البر.

ودعتها وتـــــــــركتها في أهلها وخرجت منشرحاً رضى البال

وعجزت عن شكر الذين تجردوا للباقيات وصالـــــــــح الأعمال

الجمل الخبرية توهمنا بتسلسل الحكى ... ولكن الشاعر يتحكم في تألفها مع بعضها البعض فتحقق حياتها في موت الزمن أو ثباته ، والعنصر السردي ذائب متخلل عناصر الإيقاع العــذب والكلمــات الرنانه في القصيدة .

تحولت الجمل الخبرية من وظيفتهــا الكاشــفة المعرفــة – التصويرية الدالة والمقصديه الواعية إلى الناحية المجسدة للاحتقاد بالتوازيات الصوتية والدلالية .

قد مات والدها ومــاتت أمها ومضي الحمام بعمها والخال

وإلى هنا حبس الحياء لسانها وجري البكاء بدمعها الهطال

فعلمت ما تخفي الفتاة وإنما يحنـــو علـــى أمثالهـــا أمثالـــــي

وهناك تقريرية يحكى مشهداً ليريه للمتلقين ليشـــتد الأثـــر عليهم ، كل هذه الألفاظ تعكس الطبيعة التكراريـــة للشـــعر ، فمـــا يحتكم في القصيدة هو إيقاعها وتماثلاتها .

والقصيد ملأى بالإيحاءات (لله در الساهرين على الالَى)

القائمين بخير ما جاءت به   مدينة الأديان الأجيال

إنها ألفاظ موحية وذات غايات جمالية

هناك فكرة مركزية تدور حولها القصيدة ولكنها فكرة تتطور بهدوء ، فلقاء السارد بالفتاة بصفته بؤرة دلالية في القصيدة يظل عمودها الذي تنبثق عنه باقي الصور ، وصورة طلب الشاعر المساهمة في فعل الخير "

خير الصنائع في الأنام صنيعة   تنبو بحاملها عن الإذلال

وتحديد أن خير النوال هو المبذول قبل إراقة ماء الوجه .

القصيدة بين الخيال والواقع ... الفكرة المبثوثة في القصيدة الشعرية تعبر عن نفس الشاعر الملتاعه للمنظر المترائى ... فالحدث تطور وتحدد في إطار لغوي بسيط له رنينه وجاذبيته .

وظاهره الاستدعاء : نلاحظ أن الشاعر قد يوفق إلى صورة فنية تروقه ، أو إلى تعبير ينزل من نفسه منزلاً حسناً فيظل يكرر هذه الصورة ، وهذا التعبير ويستدعيها من ذاكراته طوال مشواره الفني كلما كان المقام ملائماً لهما (١)

---

(١) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ١٥٧ .

وهذا ما حدث مع حافظ إبراهيم فهو يعبر دوماً عن مكانة الشاكي أو البائس بأن زفرات صدره تبلغ من الحرارة درجة تؤجج " فحمة الليل " استعمل حافظ هذا التعبير لأول مرة حين لجأ للرد في مطلع حياته الأدبية ، وظل يكرره لمدة تزيد عن عشرين عاماً لا يتحول عنه إلى غيره وهنا استعمله .

حسرى تكاد تعيد فحمة ليلها ناراً بأنات ذكين طوال

فكأنه فقد القدرة على ابتكار صورة جديدة ، فقد أعجب بهذه الصورة التي بلغت حداً بعيداً من المبالغة ، فراح يكررها ويستدعيها ، فنسمعه وهو يحث على رعاية الأيتام كذلك قالها في تأبين .

إسماعيل صبرى .

وكم كنت تشعل " فحم الدجى " بأنفاس صب طويل السهاد

كذلك كرره في حريق ميت غمر

أشعلت فحمة الدياجى فباتت تملأ الأرض والسماء شراراً

" وهكذا يظل التعبير الذي يروقه نصب عينيه ، ومحفوراً في ذاكرته فيسترده متى يشاء ، وعلى الأصح متى تجدد الحديث في مضمون نفسه ، وكأن المضمون يستدعي عبارته وصورته من ذاكرة الشاعر " (١)

---

(١) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ صـ ١٥٨ .

الفصل الرابع :
التجديد في شعر حافظ

انشغل حافظ شأنه شأن الكثيرين بالمجتمع لكنه كان أقدرهم على التعبير عن هذه الانشغالة وأجودهم في تصويرها، فقد شكل .

" صوت مصر الرنان ومرآتها الصافية ، لقد كان يتخذ من المناسبات السياسية مدخلاً إلى الحديث عن الوطنية ، ويتخذ من الأدب دافعاً إلى بيان العيوب ومواطن التقصير ، ومنها يدعو إلى الكفاح " (١)

الأسلوب عند حافظ

الأسلوب هو الطريقة المتميزة للتعبير اللغوى (٢)

الأسلوب عند حافظ ارتبط بمعالجة الموضوع الذي هو بصدده وفى البداية تأثر حافظ وشوقي بالبارودى .

" اتكأ شوقي وحافظ على البارودى وسلكا سبيله واغترفا من بحره ثم كان لكل منهما بعد ذلك من خصوصية طبعه وثقافته مرفد له على اقتحام مجالات جديدة أو معين على إبراز شخصية فنية متميزة " (٣)

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ٢٥٥ – ٢٥٦

(٢) مجلة فصول صـ ١٤ .

(٣) فصول جـ ٢ صـ ١٥ مقال د / شكرى عياد

السمه العامة عند حافظ في شعره أن يكون شعراً تقليدياً

الشعر التقليدي : خال من كل خصوصية .. كلمة ليست صحيحة فالملامح الخاصة في الشعر كما في الوجوه – لا تظهر إلا عند أنعام النظر فبالنظرة العجلى لا نرى إلا الصفات المشتركة[١]

ونلاحظ على أسلوبه أن " هناك نمطين أو أسلوبين متعارضين في شعر حافظ : أما النمط الأول فهو النمط الفخم " الذي يقوم على التجمل في المشاعر والعبارة على السواء ويقابله نمط أخر يمثل نقيضاً له وكسراً لنسقه وهو " النمط الواقعى المأنوس " الذي يقوم على المفارقة الساخرة والأداء الشعبي والنكته اللافته ، والتهكم بمعناها البلاغي وإذا كان النمط الأول يتصل بأوصاف الجزالة والرصانة والفحولة ، وما إليها يلتصق النمط الثاني بصفات الشعبية وما يتصل بها . وقد جمع الشاعر حافظ بين النمطين في سياق واحد ، أو بيت واحد ليحدث نوعاً من التنافر النغمى والدلالي المقصود. أو يولد بين النمطين نمطاً ثالثاً ، خصوصاً عندما ينطوى السياق على نوع من الحكمة الشعبية "[٢].

---

(١) المرجع السابق صـ ٦٤ .
(٢) مجلة فصول شوقى وحافظ جـ ٢ المجلد الثاني صـ ٦ – ١٩٨٣

والموضوعات التي طرقها حافظ في شعره وإن اتسمت بالجدة والتصوير والتجسيد للعيان إلا أن طريقة العرض غلبت عليها السمة التقليدية ، لذا نجد أنها لم تك في الصياغة والشكل " فصياغة حافظ لشعره التجديدى لا تختلف عن شعره التقليدي في قوتها وجرسها ، وكان ينشد البيت من الشعر يدوى كالقذيفة ، فإما أن يهدم اعتقاداً وإما أن يخلف في النفس عقيدة .... وفى كلتا الحالتين يخلق الإعجاب " (١)

والسهولة والبساطة والمعني القريب المفهوم سمة حافظ في شعره القصصي ... فهو يحرص على ذلك وكأنه يشعر أنه " يؤدي واجباً فلابد أن يكون أسلوبه مؤثراً مقنعاً حتى يصل إلى القلوب ويصلح النفس ، ولهذا فإن شعر حافظ التجديدى مع حرصه على قوة العبارة وسلامة اللفظ لا يجنح إلى الغرابة والصعوبة ، وإنما كان تعبيره سهلاً يسيراً حتى يناسب مختلف الطبقات وتنوع الثقافات

وهنا يختلف أسلوب حافظ في الشعر الجديد عن أسلوبه في الشعر القديم ، لأنه في الأغراض التقليدية كان يحاول أن يصوغ شعره في عبارات وألفاظ قوية وإن اضطر إلى استعمال ألفاظ

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٥٧ .

غريبة تحتاج إلى الشرح والتوضيح كما في شعر المديح والوصف" [٢]

وحافظ يميل إلى الواقع لذا يلجأ إلى اللفظ المشع بدلالاته المتنوعة ، الموحى بالمعاني الكثيرة ، أكثر من لجوئه إلى المبالغة والخيال ، وهذا يتوافق مع منهجه المتحدث عن الواقع ، لابد أن يركن إلى التعبير الواقعي ويبعد عن الخيال " نلاحظ على أسلوب حافظ في الشعر التجديدى اختفاء المبالغة فيه ، فإن بسط المسائل السياسية ، أو معالجة المشكلات الاجتماعية لا تليق بها المبالغة وإنما يلزم الشاعر في حديثه أن يكون واقعياً وخياله في نطاق الممكن" [١]

وهو في ميله القوى إلى الإدلاء الصريح البعيد عن الغموض قد يلجأ إلى الرمزية ، ورمزية حافظ مهرب يلجأ إليه حينما يحول حائل دون الجهر بالمعني المقصود .

" ويلجأ الإنسان إلى الرمز حينما يقف سبب وراء ذلك ... وما أكثرها الأسباب فقد يكون سبباً شخصياً من تجريب الأديب نفسه في إثبات القدرة على الرمز ، أو حيلولة الظروف الاجتماعية والسياسية عن التعبير المباشر ، فيلجأ للرمز نقداً وعرضاً لما لا

---

(٢) المرجع السابق صـ ٢٥٨ .
(١) المرجع نفسه صـ ٥٨ .

يرضى عنه ، وقد يقف وراء الشـاعر شـحنات شـعورية فياضة يشعر أن اللغة عاجزة عن استيعابها ضيئلة أمام ضخامتها – هشة أمام كثافتها فلا مفر من اللجوء إلى الرمز وتحميل الألفاظ دلالات عدة قد يرق إداركها على سطحي التفكير " والشعر الرمزي يبحث عن الأطواء النفسية المستعصية على الدلالـة اللغويـة ... ويلجأ الرمزيون إلى تراسل الحواس " (١).

وهو وإن لم يستعمل الرمزية بهذه الدلالة إلا أنه لجأ إليهـا للتعبير عن حنقه المكتوم وبغضه للإنجليز ، لذا كان يستخدم ألفاظاً ذات دلالة متميزة .

تؤدي الرموز الشعرية في القصيدة وظيفتين إحداهما سردية تسهم في بناء القص وتأسيس عالم الشاعر الحكـائي ، وأخـرى شعرية بصفتها دليلاً مقصوداً لذاته ، أي أنها تعكس ذات الشـاعر الفردية أو الجماعية ، إنها إذن ذات مقنعة لا تحيل إلا على نفسها وهمومها ، وبذلك يمكن القول إن اللغة الشـعرية تجـد تبريرهـا بالتالي كل قيمتها في ذاتها .. إنها إذن مستقلة أو ذاتيه الغائية (٢)

---

(١) الأدب المقارن د / غنيمي هلال صـ ٣٦٨ ط ٣ .
(٢) مقال السرد فى الشعر القديم هشام مشبال (نقد النقد صـ ٢٤)

سلط نظره على الأحوال الاجتماعية والأوضـاع المصـرية المتردية .. ففى اجتماعياته يندد دائماً بالاحتلال وسياسة تقسـيم البلاد إلى طبقتين إحداها ترفل في النعيم والأخـرى هاويـة فـي الجحيم ... لكنه لم ينص على ذلك بل يؤكد على تواجد آثار ذلـك فهؤلاء الفقراء المدقعون ممن يعانون الشظف نتيجة لسيطرة قلـة على الأموال وبخلهم بصرف الزكاة .

لا تسيء ظناً بمثرينا فقـد   تاب عن آثامـه واستغفرا
كان بالأمس وأقصى همه   أن أتى عارفـه أن يظهرا
فقد اليوم يواسيه شعبـه   وهو لا يرغب في أن يشكر

وهو يعاني من سيطرة الاستعمار ويئن من تحـت وطئتـه ومع ذلك لم يستطع أن يجاهر بأننا أمه ذات حضارة جذرية وهـم حضارتهم قشرية .

أيطربكم من جانب الغرب ناعب   ينادى بوأدى في ربيع حياتى؟

ثم يقول :

أيهجرنى قومى – عفا الله عنهم   إلى لغة لم تتصل بـروواة ؟

فهو لا يستطيع أن يقول إن لغة الاسـتعمار مبهمـة تضـم سبعين رقعه وهي صور مستهدية بالشعر العربي القديم لكنه لجـأ إلى السرد ، وكأنه امرأة تخطب في المتلقين المسيئين إليها

والأفكار في القصيدة تنبه إلى عقلية حافظ ، ويقظتـــه لمـــا يدور في الأذهان فتيقن أن الدعوة إلى العامية تحمل فـــي طياتهـــا أغراضاً خبيثة لقطع الأواصر بين البلدان العربية " وللأسف وجدت هذه الدعوة من يساندها من الكتاب المصريين ، فـــي مقـــدمتهم " سلامه موسي " يقول اللغة الفصحي تبعثر وطنيتنا وتجعلها شائعة في القومية العربية بدلاً من أن يشرب روح مصر ويدرس تاريخ مصر"(١)

وقد آثارت هذه الدعوى سخط كثير مـــن الأدبـــاء ورجـــال الوطنية المصرية مثل " مصطفى صادق الرافعي " في مقاله القـــيم " الجملة القرآنية " (٢)

واستاء حافظ أثناء ثورة ١٩١٩ بعد أن قطع " عدلي يكن " المفاوضات مع الإنجليز وحزن لمصر فتوحد معها ونطق بلســانها يحكي تاريخها المجيد وحاضرها المكافح .

وقف الخلق ينظرون جميعاً كيف أبنى قواعد المجد وحدي

ثم يتحدث عن أبنائها :

ورجالي لو أنصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون ومرد

ثم يندد بمن ينكر مفاخر مصر :

قل لمن أنكروا مفاخر قومي مثل ما أنكروا مآثر ولـــدي

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٢٨ .
(٢) تحت راية القرآن صـ ٢٦ .

ثم يذكر أنها أم التشريع:

أنا أم التشريع قد أخذ الرو　　　مان عنى الأصول في كل حد

وينص على أحقيتها في البقاء:

أي شعب أحق منى بعيش　　　وارف الظل أخضر اللون رغد ؟

والقصيدة على الرغم أنها تمس الأوتار السياسية وتهزها بعنف لتصدر دوياً مسمعاً " إلا أن ليس كل شعره السياسي عالي النبرة هكذا جهير الصوت " (١) .

نلاحظ على شعره السياسي كله أنه حديث عن مصر ، وحب أهلها ، ورغبته في رفعتهم ، ويقاسمهم كره الاستعمار ورغبته في زوالهم وضعتهم .

التجديد في المضمون : روض حافظ الكيان الشعري فلم يعد مقصوراً على الغنائية الذاتيه ، بل زرع فيه أشكالاً تثبت قيماً إنسانية ، وحينما يتحدث عن الإنسان يحمل شعره طاقات شعورية فياضة فيتناول الإنسان في جوهره كطفل ضال ... فتاة ضائعة ... فيظهر لنا عقله ، ويجسد لنا حسه ، ويرينا فكره .

(١) قصيدته في الدولة العثمانية حوت كثيراً من الموضوعات مما يدل على فتور الحماس، وخفوت جذوة الشعور وبهتان الرؤية .

أخشـــــى مربيتي إذا　　طلع النهار وأفزع
وأظل بين صواحبـــى　　لعقابها أتوقع
لا الدمع يشفع لى ولا　　طول التضرع ينفع
وأخاف والدتـــــي إذا　　جن الظلام وأجزع
وأبيت أرتقب الجــزا　　وأعيني لا تهجــع

فهنا المعاني تفيض بالإثارة والغموض ، أداها بشكل متميز متبع الحوادث ، ملئ بالأحداث وضيء اللفظ ، ثرى المعني .

ثم تأتي الانفراجة بإيضاح أن تلك الطفلة تتعـدى الحــدود وتخالف التعليمات ، فقد أدركت بفطرتها أنها لــو التزمــت لبــدل خوفها أمناً ، وشقائها سعادة .... فقال :

ما ضرني لو كنت أســ　　تمـــــع الكــــلام وأخضـــــع
ما ضرني لو صنت أثــ　　ـــــــوابى فــــــلا تتقطـــــع
وحفظت أوراقـــي بمحــ　　ـــــــفظتى فــــــلا تتــــوزع
فأعيش آمنـــــة وأمــ　　ــرع في الهناء وأرتــــــع

فبث هنا قيمة إنسانية ..التزام الخلق في شكل ســردى ، .. فقد جمدت اللحظة المجسدة لرعب الطفلة .... فنقلها بإيجاز مكثف وتركيز عال يكاد يحبس الأنفاس ، وكأن الطفلة قد انتزعــت مــن الحاضر وعاشت في غد ... ترى ما سيحدث من جراء عدم التزامها؟

فالسارد يحكي ويخلق عالماً عربياً شديد الإثارة ، ووظــف جملة من حكي القلق النفسي المتوالي علــى الطفلــة وإحساســها بقرب العقاب ، مهما أرسلت من شفعاء لا تملك سواهم وهم الدمع والتضرع وعدم النوم . وفى تتابع الأفعال :

أخشى – أفزع – أتوقع – أخــاف – أجــزع – أرتعــب – تسلسل منطقي يحكي العلاقة التي تقوم بين حالة الطفل النفسية . والسبب الذي أوقعها فيها والذي أدركته فــي قولهــا ... مــا ضــرى وكررتها

فهذا الرد يحيل إلى عالم خارجي مجسم من خــلال الألفــاظ المصورة ...

لا تسمع الكلام ، لا تصن الملابس ، لا تحفظ الأوراق

سبــب

خشية المربية ، توقــع العقاب ، طــول التضرع

نتيجـــة

سماع الكلام ، صون الملابس ، حفظ الأوراق

سبــب

العيش الآمـــن ، الرتــع في الهناء

نتيجة

فمبدأ السببية أو العلية الذي يميز السرد هو ما يعطي هذه القصيدة ترابطها على مستوى الصور الجزئية ...

فالأفكار متجانسة متكاملة مما يدل على تكامل التجربة في نفسه .

العرض السريع : في شعره تلمح السرعة فهو يقع على هدفه سريعاً ، مما يدفعنا إلى القول بأنه كان ذواقاً للأسلوب ، بليغاً في التعبير ، يختار لكل موضوع الأسلوب ، ولكل فكرة التعبير الملائم ، ولكل مجال الغرض اللائق به .

والباحث تناول القصيدة كتوجيه نصح للموسرين بمراعات المعوزين والمحتاجين (١) لم يعلق على الإطار القصصي والاتجاه السردي الذي سلكه حافظ ولم يقدر له شحذه الأذهان واستمالة القلوب في قصيدته بعدما استمال القلوب لحالها وبؤسها وشقائها فلو حبر الأوراق الكثيرة ... وتراصت الجمل المتعددة ما بلغت من التأثير والدعوة إلى التبرع – وهو الهدف – مثلما بلغت كلماته القصصية ، فقد استطاع أسلوبه السردى أن ينزع الدمع من العيون ويدفع الأيدي إلى الجيوب لاستخراج ما بها للتبرع لهذا النشاط الذي سيقي تلك الفتاة ومثيلاتها شر الحاجة ، وسيجنب

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث صـ ٢٣٢ .

غيرهن المرور بهذه الرحلات المؤلمة ، وكـونهن مرمى لحوادث الدهر فيقول :

خير الصنائع في الأنام صنيعة   تنبو بحاملها عـن الإذلال

ثم يؤكد المعني ويحدد الدعوى .

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم   ميـدان سبق للجواد التالي

التجديد في المعني: صرف اهتمامه للصياغة وكان يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق ، وإنما الإجادة في الصياغه "[1].

وعلى رغم ثقافته الفرنسية إلا أن أثرها المتبدى في شعره كان ضعيفاً ، لكنه موجود في اللغة العربية تتحدث عن نفسها .

حينما تكلم عن الحضارة الإسلامية مقتفياً " أثر ابن الرومي" والبحترى ، فالقصيدة تصنف ابتداءاً في غرض الرثاء ... لكنه ليس بالمعني المتعارف عليه من تعديد الحي مناقب الميت وأمجاده وإنما رثاء حضارة أمه لتفشى الوهن والضعف في أهم عامل من عوامل تواجدها وهي اللغة .

واللغة هي التي تبلور الفكر ، فلولا ظهور الأفكار وصبها في الكلمات لكانت عبارة عن تهويمات عقلية لذا " لغة الشاعر

(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٤٠ .

أخطر أدواته وأهمها ، ولعلها خير أداة تستطيع أن تبرز لنا دلالات وافية عن نفسية الشاعر ، وخياله ، وعواطفه ، وثقافته وغموضه ، أو سهولته ، ذلك أن الكلمة مفرده أو مركبة مع غيرها هي الواسطة التي يستطيع بها الشاعر أن يرسم صوره وينظم أفكاره ويبث أحاسيسه وعواطفه .

وقد استخدم حافظ اللغة فأجاد استخدامها سواء في أسلوب سردي ، أو شعرى .

التجديد في الشكل : إن تجديد حافظ في الشكل يكاد يكون محدوداً فقد صب شعره في قوالب قديمة ملتزماً وحدة الروى ووحدة الوزن من الإطار المألوف فإيحاؤه بالتجديد الشكلي كان واهناً (١) .

على الرغم من أنه كان يوافق المازني على ضرورة التجديد كسنة حياتية قال المازني : كنا نلتقي بحافظ من حين إلى حين في مقهى أمام دار الكتب ونتحدث في المذهب الجديد في الشعر ، وأن الأدب فرع من شجرة الحياة ، أو أن التقليد يفسده ، وأن الأديب

(١) فى قصيدة حرب طرابلس اختلاف فى الروى تمشياً مع المجدد تواجد الحوار وما يتطلبه من اختلاف الروى بالإضافة إلى الأساس وهو نشيد الإخوان المسلمين - الديوان صـ ١٤٥ ، ١٤٦ .

يجب أن ينظر بعينه ويفكر بعقله ويحس بقلبه وأن يكون قبل كل شيء وفوق كل شيء مخلصاً ، إلى آخر كل هذا فيوافقنا (٢)

ومع ذلك افتقد التجديد الملموس في ديوانه بشكل عام إلا قليل" حاول حافظ أن يدفع عن نفسه قالت السوء التي كانت تقض مضجعه ، فراح يردد ما يقوله دعاة التجديد عن غير بصارة أو تهيؤ نفسي وفنى لهذا الإبداع الجديد ، فسمعه يخاطب الشعر متحسراً على حاله " (١) .

ضعت بين النهي والخيال يا حكيم النفوس يابن المعالي

ثم يقول :

آن يا شعر أن نفك قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

لم يكن بطبعه يميل إلى الجديد ، أو يكلف نفسه عناء مطالعة الطريف ، ظل قابعاً تحت سماء التليد يتحرك في إطاره ويدور في فلكه .

" والغريب من أمر حافظ أنه حين أتيحت له فرصة تتسم هذه الريح الشمالية في مهبها ضيع الفرصة . اكتفى يوم زار

---

(٢) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق د / على صبح صـ ٧٢

(١) ديوان حافظ إبراهيم جـ١ صـ ٣٧ .

فرنسا ومكث بها شهرين بالتردد على أشهر المطاعم وعلب الليل ، ولم تهف نفسه إلى زيارة معالمها التاريخيـــة ومراكزهـــا الثقافية والفنية ، حتى إيطاليا التي رست فيها سفينته فـــي أثنـــاء سفره لم يفكر في النزول إليها ورؤية شيء من فنونها التي أكثـــر من وصفها بالغيب"(٢)

فهو كما عرفنا من طباعه ومن عدم حرصه على ترقيـــة ثقافتـــه وإلقاح ملكته لم يكن قادراً على نزع الكمائم عن روحه الشاعرة ، صحيح أن ديوانه يخلو من وقفة مطمئنة على الأطلال كما يخلـــو من النسيب ... لكنه يمتلئ بالمدائح ، وشعر المناسبات وغير ذلك مما نص على تركه ... ولا يكاد القارئ يقف علـــى شـــيء مـــن ملامح نفسه الحقيقية إلا في شكواه ودعابته ... ولولا أن حافظـــاً رزق القدرة على تحسس طاقات الألفاظ واستخراجها في تراكيـــب محكمة لركد هواء شعره ولفترت همة القارئ في متابعة مطولاتـــه التي تخلو مواطن كثيرة فيها من خيال طريف أو تصوير مبهر .

ولكن مع ذلك .

وجدنا هناك تجديد في شعره في :

---

(٢) حياة حافظ إبراهيم صـ ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

القيم الفنية : إذا كان التقليد يسيطر على حافظ شأنه شأن غيره من الشعراء لكنه امتاز عنهم بذاكرة واعية مكنته من حسن الاختيار ، واستدعاء الألفاظ والمعاني ، فمكنه ذلك من الخروج من إسار القديم وربقة التقليد الجمود ، فدلف ميادين جديدة وموضوعات طريفة لم يألفها من سبقه من الشعراء ، ولعل ذلك من طبيعة الأمور ومن سنن التطور " فليس طبيعياً أن يظهر شعر ويسمو ويتسم بسمات الابتكار والتجديد والآصالة وهو مقطوع الجذور لا يعلق به من الماضي أو التراث بعض الأمر أو العوالق ولعل هذا ما حدث بالتحديد مع الشعر العربي الحديث في حركته الجديدة إذ جاء بالماضي متفاعلاً مع الجديد الوافد من الغرب متأثراً به"(١)

وكان تأثر حافظ بالقديم أكثر من تأثره بالحديث ، وظهر تأثره بالحديث بقوة في :

الاتجاه السردى – الحوار – المنولوج

في قصصه الشعري : ظهر الاتجاه السردي ببعض سماته ومكوناته لأغراضه النوعية بقوة ولكن شعره مع ذلك احتفظ

(١) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة صـ ٥ ، ٦ .

بخصوصيته " يمتلك الشعر بناءه الخاص وليس السرد الموظف فيه سوي مكون أساسي من مكونات بنية القصيدة العربية ، وجميع العناصر التي تتدرج في هذا الإطار تصبح ذات غايات ووظائف شعرية تساعد في بناء القصيدة وتشكيلها الجماعي " (٢)

الحوار : يشكل الحوار ركناً أساسياً وصبغ بصبغة التنوع في بعض قصائد حافظ الشعرية ، فأحيانا يكون الحوار بينه وبين الطفل – الفتاة ... بشكل مباشر ... هو يبدي التعاطف ... وهما يسردا المأساة ... وقد يتجرد حافظ من ذاته ، ويترك للشخصية حرية تحليل ملامح حياتها ، في خيال مقنن ، وحس فياض ، استطاع إضاءة عوالم هذه الشخصيات ، وتلك الحيوات وصار الحوار " شارة رمزية توحي بمشاعر معينة وتساؤلاً إيجابياً ذكياً دون إجابة صريحة ، أو مباشرة ، ولغة جدلية فنية تتشكل من خلالها المواقف والرؤى والمشاعر ، وتبلور أغراض الكاتب من خلال الحوار حين يتساءل أو يرد أو يستنكر أو يتعجب أو يتدخل في سياق الحديث " (١) .

---

(٢) نقد النقد صـ ٢٨ .
(١) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر صـ ٨٣ .

والحوار لا يشغل القصيدة كلها فبناؤها اللغوي منوع ما بين سرد ، ووصف ، أو حوار .... وأرى أن هذه وسائل لجأ إليها حافظ ليوصل فكرته ويحقق هدفه من التأثير في المتلقي تأثراً بتولستوى ، ووردزورث ... اللذان فهما أن الأدب انفعال واع يوصل به الفنان أحساسيه إلى القارئ ... وإن كان المفهوم اختلف الآن وأغفل الفن القارئ وأهتم الفنان بنفسه (٢) .

لكن حافظ بغى دائماً التأثير في المتلقي واستجلاب استحسان برضاه أو رغماً عنه لكنه آخراً يعجب بما يقول .

الحوار غير المتسلسل ... يختصر المسافات ويتجاوز الوصف أو التعبير أو التحليل ، يلجأ إلى اللقطة الفنية السريعة واللغة الموحية المعبرة .

وإن كانت وحدة الموضوع هنا – في القصيدتين – غير متحققة بشكل تام لأنه هدف إلى الإشادة بعمل البر، واتخذ ذلك القص سبيلاً، فصارت القصة موضوعاً ، ثم الحديث عن البر موضوعاً آخر

إن نفسية حافظ إبراهيم بخلفياتها المأسوية تتبدى في الحوار فالتفتيت والتقطع في الحوار توحي بلا شك بوجود هذا التمزق داخلياً ففى منظومة تمثيليه .

---

(٢) فلئن كان الوضوح هدف الفن التقليدى فقد أصبح الغموض يشكل خاصية من خصائص الفن الحديث ذلك أن الفنان قد تجاوز مجرد الحواس الخارجية واتصل بالعالم الداخلي للمتلقى - اللامعقول فى الأدب المعاصر يوسف الشاروني صـ ١٠ دار الكتاب العربى ١٩٦٩ .

(ليلاى) ما أنا حـــــى يرجـــى ولا أنــــا ميـــت
لم أقض حق بـــلادى وهأنـــا قـــد قضـــيت [1]
شفيت نفسي لـــو أنى لمـــا رميـــت رميـــت
(بيروت) لو أن خصما مشـــى إلـــى مشـــيت
أو داس أرضك بـــاغ لدســـته وبغيـــت
أو حـــل فيك عدو منـــازل مـــا اتقيـــت
لكـــن رماك جبان لـــو بـــان لـــي لاشـــتفيت[2]

ثم يتجه بالحوار إلى ناحية أخرى فيقول على لسان ليلى رداً :

لـــو تفتدى بحياتى مـــن الـــردى لفـــديت
ولو وقـــاك وفىٌّ بمهجـــة لوقيـــت
إن عشت أو مـــت إنى كمـــا نويـــت نويـــت [1]
(ليلاى) عيشى وقـــرى إذا الحمـــام دعـــانى
(ليلاى) ساعات عمرى معـــدودة بـــالثواني
فكفكفى من دمـــوع تفـــرى حشاشـــة فـــإنى[2]

---

(١) قضيت : مت
(٢) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه .
(١) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتى وموتى تبعاً لحياتك وموتك
(٢) تفرى : تقطع . والحشاشة بقية الروح فى المريض

ومهدى لـــــــــى قبرا	علـــــــى ذرا (لبنـــــــان)
ثم اكتبى فوق لـــــوح	لكـــــل قـــــاص ودانــــــى :
هنا الذي مات غـــدرا	هنـــــا فتـــــى الفتيــــان [٣]

فالحوار يعكس " حالة معقدة قلقة لذات الفرد ، ثم يشـخص الحالات مجتمعة في وقت واحد ليعطينا صـورة تعبيريـة مركبـة متداخلة من خلال أسلوب الحوار المتشابك المتقطع [٤] .

ففي قصيدة **اللغة العربيـة** نستشعر منولوجاً داخلياً فاللغة العربية تحزن وترثي نفسها وتستبطن داخلها لتعرف إلى أي مدي امتلكت قدرات ... وإلى أى حد رميت بالعجز .... فنجـد الإيحـاء والإيحاء الذي يكشف عن غاية الأديب " لقد كان حـافظ حريصـاً على طرح كثير من أفكاره بغير لسانه ، وكان الإطار القصصي كما رأينا معيناً له في ذلك ، لكنه لم يكتف بهذا النهج القصصي فرأيناه يلجأ إلى أسلوب آخر أو حيلة أخرى ، فإذا أراد الحديث عن أمجاد مصر الخالدة لم يقف هو أمامنا ويسردها ويتغنى بها ، إنما أوقف مصر نفسها لتتحدث بلسانها ولتعدد مآثرها وظل هو مختفياً

(٣) منظومة تمثيلية ديوان حافظ إبراهيم صـ ٦٩ – ٧١ .
(٤) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر أحمد منصور صـ ٨٥

كالملقن في دور المسرح يملئ على الممثلين ما يقولونه ويذيعون على الناس دون أن يراه المشاهدون أو يسمعونه [١] .

ولكن هل هي تتحدث جهارة أم تستطبن ذاتها في منولوج داخلي تستعرض مأساتها وما تتعرض له من كيد أعدائها فتسترخ قومها للأخذ بيدها ودراً الخطر عنها .

وهذا المنولوج الداخلي – أو القصة الشعرية صيغت بشكل أدبي يحاول " النفوذ إلى جوهر الأشياء إلى أعماق الإنسان بكافة همومه ومشاعره ، وإلى جوهر الحياة بتناقضاتها ومفاهيمها المختلفة ، والقصة في الغالب تحاول بلورة بعض المواقف الفكرية والاجتماعية والسياسية والنفسية من وجهة نظر الأديب وموقفه سواء أكان موقفاً فردياً أو موقفاً جماعياً " [٢].

والمونولوج عند حافظ لا يستقصي الأحداث كلها بل كأنى به يفتح قوساً ثم يتركه ويلتقط مشهداً آخر ثم يغلقهما ويلجأ إلى صورة ثالثة ونظرية " الوحدات الثلاثة وحدة الموضوع ، المكان ، وحده الزمان تلك التي كان يتقيد بها الكلاسيكيون الفرنسيون " [١] تحققت في هذه القصيدة كأن اللغة العربية استوقفت الحضور في مكان ما لفترة زمنية محددة وأخذت تقص عليهم القصص .

(١) التيارات المعاصرة صـ ١٣ .
(٢) المرجع السابق صـ ٨٥ .
(١) فصول فى الشعر ونقده د / شوقى ضيف صـ ٣٤٧ ط ٣ دار المعارف

العاطفة الشعورية : الإحساس والشعور من الأشياء التي لا توزن ولا يوجد ضابط لها لكن هناك محركات أساسية عيب على حافظ لين انفعاله بها ، وكان منوط به شدته وانفعاله .

فأحيانا ما يحدث حدثاً يشيب الولدان له ، فنجد شاعر الاجتماعيات عبر عنه بشكل لا ينوط به فحادثة دنشواى كانت من الممكن أن تأخذ شكلاً قصصياً ثرياً ، ولاسيما أن الحدث توافرت فيه عناصر القصة الزمان – المكان – الشخصيات الرئيسة – والثانوية – العقدة التي تبلغ أقصي تأزمها حين تنصب المحاكمة للأبرياء ... ثم يأتي الحل الذي كان ينبغي أن يكون حلقة في سلسلة ثورية لا تنتهي ، فلو أنه جسد منظر المحاكمة وتنفيذ الحكم ... والأكباد التي عصرت بقبضات حديدية لا ترحم ، كان من الممكن توظيفها كشرارة تشعل النار في الأخضر واليابس فلا تهدأ إلا بعد أن تقضي وترها من غاصبيها ، لكن شعره جاء بارداً وجاءت قصيدة شوقي أكثر حمية واشتعالاً ، بل إن مراثيه – غالباً ما تحوي شحنات عاطفية أقوى من القصائد المنظمة في حوادث .

" كنت أتوقع أن يكون صوت الشاعر في هذه الأحداث أقوى وأن يفصح لنا في عبارة قوية عن شعور وطني أشد حدة بسبب ما تحركه هذه الأحداث في الصدور من انفعالات تدفع بصاحبها إلى ما

يكافئها من القول أو الفعل ، لكن القارئ يفاجأ في مواقف الشاعر بمستويات متباينة من الشعور ، وبآراء غريبة في نظرته للمحتل فيها كثير من المفارقات وفيها تناقض واضح بين المقام والمقال وهذه الظاهرة آذت نفوس كثيرين وخيبت ظنهم وتوقعاتهم في شاعر النيل ، كما عرضته لكثير من النقد اللاذع ، إن ترمومتر الشاعر لا يستمد واقع الأحداث فحسب ، فيرتفع أو ينخفض وفقاً لطبيعتها ودرجة حرارتها ، وإنما يتأثر بعوامل كثيرة أخرى على رأسها إحساسه المتنامي بالخوف والضعف وما يتولد عن ذلك من شدة الحرص وفرط الحذر ومعاودة النظر في كل كلمة ممكن أن تعرض حياته للخطر " (١).

الخيال عند حافظ ..... يصعب تحليل الخيال عند حافظ وتفسيره بعيداً عن الجانب الاجتماعي الذي عاشه ليتحدث في إطاره إما رافضاً أو مؤيداً أو عارضاً فقط " كانت المشكلات الاجتماعية هي شغله الشاغل وكان الإصلاح هدفه ، ولم يتأخر في مناسبة من المناسبات عن نداء الواجب وكانت مشكلات مجتمعه هي موضوعات شعره ، فتحدث عنها كثيراً وأفاض في الحديث عنها من كل الجوانب حتى لا يدع ثغرة ليس له فيها نصيب

---

(١) حافظ إبراهيم أحمد محفوظ .

وكان حافظ من أوساط المجتمع لذلك كـان يفهـم حقيقـة مشكلاته ويصل إلى عمقها وكان بها خبير " [١] .

" ومن الأشياء التي تجعل للتشبيه في شعر حافظ وقعاً فـي النفس ، وتأثيراً على السميعه ، إن الصورة الخيالية التي يأتي بها تكون مسايرة للصورة والفكرة العامة ، وتناسب الشعور العام في القصيدة ، كتلك التي أتي بها في حديثه عن اللغة العربيـة ، فقـد أورد أروع ألوان التشبيه أراد بها أن يدفع التهم التي توجه إلـى اللغة العربية [٢].

أنا البحر في أحشائه الدر كامن   فهل سائلوا الغواص عن صدفاتى

فى هذا البيت شبه اللغة العربيـة بـالبحر فـي اتسـاعها وشمولها وتجددها دائماً ، ثم أتبع ذلك بالدعوة إلى البحث والتعمق في أسرارها ، فطلب من هؤلاء الهدامين أن يسألوا فقهـاء اللغـة واستعار لذلك كلمة " الغواص " الذي يغوص تحت الماء بحثاً عـن اللآلئ ورشح لها " بالصدفات " كل ذلك جمعه حافظ في بيت واحد من الشعر يقرر به المعني الذي طرحه وهـو أن اللغـة العربيـة صالحه للاستعمال ولا تضيق عن الجديد في شيء .

---

(١) التيارات المعاصرة فى القصة القصيرة فى مصر أحمد منصور صـ ٢٥٦ .
(٢) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ٢٦٩ .

وعاد يصور اللغة العربية وقد اختلطت بلغة الأفرنج بأنها أصبحت غير متناسقة يقول :

سرت لوثة الأفرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

لقد صور في هذين البيتين حال اللغة العربية بعد أن هجرها أصحابها إلى لغة أخرى ، ليس لها أصل لديهم فقد أصبحت مهملة ليس بين ألفاظها انسجام كما كان حالها والقوم يعتنون بها .

وفيه إشارة إلى أن ذلك طريق لإفساد اللغة – كما سرى لعاب الأفاعي – نلاحظ أن هذه التشبيهات تدخل في الإطار العام للقصيدة وتقرر المعني الذي يريد الشاعر أن يصل إليه وهو دفاعه عن اللغة العربية (١) .

من الجميل في التشبيه عند حافظ أن الصورة الخيالية لا تناقض الأفكار العامة ، فالمعروف أن البر حسن لذلك يقول :

فتسابقوا الخيرات فهي أمامكم ميدان سبق للجواد النال

فعلى الرغم أن الخير محبب للنفوس إلا أنه ثقيل على بعضها فتحدث عنه وكأن المعطين في سباق كل يريد الفوز .

وهو يزين الكلام بالحقائق ، ففى " مصر تتحدث عن نفسها " .

---

(١) حافظ إبراهيم ومكانته فى الشعر الحديث على عبد الغفار محمد ناجي إشراف أ . د / محمد السعدى فرهود ١٩٧٥ – رسالة ماجستير لغة عربية ج الأزهر صـ ٢٧٠ .

فترابي تبر ونهري فرات وسمائي مصقولة كالفرند

وهذا واقع أرض مصر أو كان واقعها في القرن التاسع عشر ويقول مطالباً الرجال بخطبة مصر .

أمهروها بالروح فهى عروس تسنأ بالمهر من عروض ونقد

التفت هنا وغير الإسناد من المتكلم إلى الغائب ثم آب ثانية يعدد مآثر مصر وصلابة رجالها .

لكن أحمد أمين في مقدمة ديوانه (١) عاب ضعف خياله يقول :

أما خياله فكان مع الأسف – خيالاً قريباً – قلل حظه من الابتكار وقلل حظه من التصوير وقصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظراً يجذب النفوس إليه ، ومع ذلك قد يواتيه خياله ويمده شيطانه بزخيرة تثير العجب كما وصف رحلته لإيطاليا والتي نظمها قبل أن يرتحل ووصف فيها شوارع إيطاليا التي لم يرها " .

فبراعة حافظ في وصفه لم تكن كما يذكر الصيرفى والجندى لمشاهدته إذ اتكأ تماماً على خياله ومع ذلك تمكن من تقديم وصف جيد، وهذا بلا شك من دلائل قدرته الخيالية العالية التي تواتيه حيناً بعد حين "(١)

---

(١) ربما يرجع ذلك لأسباب عدة كره الإنجليز والخوف من التصريح بذلك .
(١) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٤١ حياة حافظ إبراهيم صـ ١٧٢ .

التجديد في الموسيقي : قلنا إن الأوزان كانت تقليدية فالتزم الروى والبحر ... اللهم إلا ما اقتفي التنوع لكنه كان يراعي في موسيقاه الطول والقصر ، وموسيقي الفخامة والرقة ، وموسيقي اللين والشدة ، ويوائم بين ذلك وموضوعه وبين ذلك ومعانيه وأغراضه فيوفق توفيقاً كبيراً .

وكانت أذنه موسيقية وكأنه شاعر حولي قديم يعرض شعره أولاً على أذنه قبل عرضها على الناس وصرف كل عنايته إلى الاهتمام والإجادة " في الصياغة وهو يستعين على ذلك بالموسيقي موسيقي اللفظ ، وموسيقي الأسلوب،وموسيقي الأوزان والقوافي"(٢)

يهتم بالتقفية الداخلية وإحداث النغم بين الكلمات والعبارات في البيت الواحد .

---

(٢) ديوان حافظ إبراهيم صـ ٤٠ .

الخاتمـــة

حافظ إبراهيم من الشعراء المقلــدين المجــددين تــداخلت أنسجة نظمه فلم يتبين بشكل فاصل ما المقلد وما المجدد إلا قليل .

لكن الصدق يشع في تجاربه الشعرية ، سواء أكان صــدقاً فنياً أم صدقاً واقعياً صدق فني التخيل الذي اعتنقــه وآمــن بــه الصدق الواقعى ، حينما يري بأسا ويجسده يصير ناقلاً أميناً للواقع والمدرسة الفنية التي ينتمي إليها حــافظ تســمح بلقيــا الفقــراء المعوزين شدة التأثر ، وتوحد الجو النفســي ، المســيطر علــى القصيدة من المبتدى إلى المنتهي ، يشمل الجزئيــات والتفاصــيل حتى يصل إلى الكليات والصورة الإجمالية .

والخيال متولد من عاطفة فأثرى تجربتــه بصــور مــؤثرة مصبوبة في قوالب لافتة ، ودائماً ما تقبع فكرة إنسانية أصــلية فــي قصته الشعرية، باعث عليها نظرة مصرية معمقة، وأصــالة تعبيريــة مبدعة ، هذا التآلف يرمز للصورة الأدبية المتميزة التي اتســمت بهــا أعماله .

الغنائية تغلف إنتاجه القصصي فكثيــر مــن قصصــه ورد استهلالاً لشعر المناسبات يدلف منها إلى مدح شخصية أو الثنــاء على مشروع اجتماعي ، أو حشد وتعبئة الشعب لاتخاذ قرار معين

إن كان الاتجاه القصصي الشعري اتسم بالجدة إلا أنها جدة محدودة فلم نر إبداعاً فائقاً مثل ما عمل أبو شادي مؤسس مدرسة أبوللو فقد نظم كثيراً من الأوبريتات ، اردشير ، إحسان ، حياة النفوس وغيرها....

لغة حافظ تسجل لنا أصداء ثقافته ، قديمها وجديدها تحمل كثيراً من الألفاظ القرآنية ، والمعاني النبوية ، والصور الشعرية القديمة ، بالإضافة إلى استخدام ألفاظ جديدة تشير لثقافته العميقة وإطلاعه الواسع في صدر شبابه – وظهر هذا في سبك جملة تركيب ألفاظه ، جمال جرسه ، القدرة على إفراغ وإخراج المعاني الجميلة في صور لائقة .

ومع ذلك فالقصة عنده على جديتها على المجتمع آنذاك تفتقد لمقومات عدة من دقة العرض وعمق المشاعر الإنسانية وتفلت الخط القصصي من الشاعر إلا قليلاً فلا نجد هناك تحديداً لزمان أو مكان الرواية أو نصاً على الشخصيات الثانوية أو تبين العقدة ثم الحل .

إن استعانتي بالنصوص ليست بالكثير لأني اعتمدت فيه على جهدى الذي أرجو أن يكون وظف في الاتجاه الصحيح

ولقد أوجزت في مواضع لــم أر لتواجــدي فيهــا فائــدة ، وتواجدت في أخرى بتركيز كثيف لغزارة المادة والشعور الفيــاض والفصاحة البينة ، ولقد دارت بخلدي بضع أسئلة لا أعــرف هــل سأجد إجابة لها أم لا ... ولو وجدت هل ستكفي ما آثاره الســؤال من فكر .... أم أقل ، أم أكثر .

ومن هذه الأسئلة ...

هل استطاع حافظ أن يجعل القصة الشعرية غرضاً أساســياً يقف على قدم المساواة مع الأغراض الأخرى ؟

هل امتلك حافظ مؤهلات القصة الشعرية وبددها دون استفادة ؟

أيهما أثرى للأدب طواف حافظ حول القصــة القصــيرة أم انغماسه في المناسبات الاجتماعية – مراثي – أحداث – تهاني...؟

ما مدي تأثر حافظ في ظل الإطــار القصصــي " بقراءاتــه للتاريخ وللقرآن ومعرفته بالسنة ؟

وكيف تجلي هذا التأثير وكيف توارى ؟

المكانة التي امتلأها حافظ هل ناسبته .... أطالــت عنــه أم قصرت فكبلت مواهبه .... ؟

ومن الطبيعي أن للذوق الســيطرة ، ولا قيمــة لســؤال إلا بمقدار ما يقودنا إليه – هو وإجابته – من كشف جديد وتضوئ

حنايا مظلمة وإظهار أجزاء خافية .

ويلح على سؤل أخير ... مَنْ حافظ إبـــراهيم أهــو شـــاعر بائس انبثق عن وضعية اجتماعية عاقبته إنسانياً وأثابتنا أدبياً ؟

أم هو إنسان أوتى قدرة بيانية وملكه خطابيــه ؟ ومهــارة كلامية ، ومقدرة لغوية على توصيل ما يريد للمتلقي ..

وإن كان لتغيب الناحيـــة الشـــعورية وفتـــور الأحاســـيس الانفعالية هرءت بعض عباراته ، ورهلت بعض أبياته فأفقدتنا حدة التواصل معه وعنفوان التأثر بما يقول إلا قليل .

وإذا كانت أول الفكرة أخر العمل فإني كتبت هذه الخاتمة بعد الإلمام بقدر المستطاع – بحافظ حياتياً وشعرياً .

ولم أرى أن حياته كلها كانت صفحة محبرة بإنغماسه فـــي أدواء مجتمعه – كمسلك معيشي – كما قد يـــوحى بعـــض شـــعره وتبدي في بعض قصائده ، بل انشغل بنفسه وملاحقـــة الوجهـــاء وكان يتكبد التظرف لينال الحظوة بالقرب منهم ، كما قال هو بنفســـه عن نفسه

ومخالفة لرأى استاذى العزب القائل " ليحس المتلقي لشعر حافظ أن هذه الجراح الشعبية التي يصورها في شعره إنما يسيل

من خلالها دمه ، وأن هذه الأحزان الوطنيـــة التـــي تفكهـــا قصائده والتي تعكسها قصائده إنما هـــي بـــوح أيامـــه ولياليـــه "[1] ويظل لحافظ أبيات خالدات في الحكمة وفرائد ممتعات من البيان لحلاوة ندرته وحضور بديهته .

نـتائج البـحث ...

الحقب الزمنية ، والبقع المكانية ، والأحداث الحياتيـــه ... تصبغ قوة وضعفاً ، جمالاً وقبحاً ، بساطة وتركيباً ، حيـــاة المعيشـــين فيها وتخضعهم لها وتعتلي اهتمامهم،المؤثرات السياســـية والمشـــاكل الاجتماعية حفرت بعمق أخاديد وجداول ، فـــي الناحيـــة النفســـية لحافظ إبراهيم .

تبدى تأثر حافظ إبراهيم بالحياة الاجتماعية في شـــعره ... نظم على الوفاء ثلث شعره ، واحتلل الفقراء والمعوزون وأمورهم أكثر من الثلثين المتبقيين .

عرض رؤيته للمشاكل الاجتماعية ، تصدر عن نفس ملتاعة يتقاطر منها الحزن ، ويزاحمه في التواجد الأمل ، والرغبـــة فـــي الإصلاح وبث الرؤية في منهجية تحقيق هذا الأمل .

(١) عن الأدب العربي المعاصر مدارسه وأعلامه د/ محمد العزب صـ ٥٤ ــ ٢٠٠٢

الإطار القصصي كان وعاءً ملائماً لصب هذه الشحنات الشعورية والدفعات التعاطفية لتنتزع التعاطف مع المآسى الإنسانية التي وردت في منظومته الشعرية .

وإذا وضعت أعمال حافظ ذات الإطار القصصي تحت مرآة النقد الحديث وسلطت عليها الأضواء ، تكشفت لنا بعض الحقائق... قرب خيال حافظ ، طواعية اللغة ، الأسلوب القوي الآخاذ ، السمة الإحصائية من تتبع حالة " البطل – البطلة " وكشف العوز والاحتياج ، بالأدلة المجسمة والبراهين المرئية ، فكلماته تصرخ ، وعباراته تنتحب ، وصوره البلاغية تمسك بتلابيب المتلقى وتهزه بعنف لينفعل بها .

ولكن الحكم عليها نقدياً ممسكين مظلة الفن القصصي تنكشف لنا عن بعض الحقائق ، هروب العنصر القصصي منه فالحكاية بعناصرها المميزة وخصائصها المحددة لم تتواجد بشكل قاطع في قصصه نلمسه ونراه ... فلا تستطيع تبين عنصر الحبكة الأبطال ثانوية رئيسية ، عقدة ، ثم حل ، موقع الحدث ، ووقته في أعماله – لكن فلاحه في تحقيق هدفه ، وإثارة عاطفة من حوله ولفت انتباههم وسمت أعماله بالإبداع والإجادة لتحقيقيها الهدف .

المصادر والمراجع

١. الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق د / على صبح

٢. الأدب وفنونه عز الدين إسماعيل دار الفكر العرب ط ٤ – ١٩٦٨

٣. الأدب وفنونه محمد عناني الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١ – ١٩٩١

٤. أصول النقد الأدبي أحمد الشايب .

٥. بناء لغة الشعر جون كوين ت . وتقديم وتعليق أحمد درويش ط ٣ – ١٩٩٣ دار المعارف .

٦. تشريح النقد تقديم محى الدين صبحي الدار العربية للكتاب ١٩٩٦ نور ثروب فراي .

٧. تطور الشعر العربي في مصر د / ماهر حسن فهمي مكتب نهضة مصر الفجالة ٥٨ .

٨. التيارات المعاصرة في القصة القصيرة في مصر رسالة ماجستير أحمد منصور الزغبي إشراف د / سهير القلماوى ١٩٧٦ .

٩. حافظ إبراهيم أحمد محفوظ مطبعة المختار ١٩٤٧ .

١٠. حافظ إبراهيم د / عبد الحميد سند دار المعارف

١١. حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته الذاتية السعيد محمود مركز الدلتا .

١٢. حافظ إبراهيم ومكانته في الشعر الحديث علـى عبـد الغفـار محمد ناجي رسالة ماجستير إشـراف أ.د/ محمـد السـعدى فرهود ١٩٧٥ لغة عربية جامعة الأزهر .
١٣. حياة حافظ إبراهيم الشاعر الثـائر أحمـد محفـوظ القـاهرة مؤسسة نصار لتوزيع النشر مجلة الهلال ١٩٥١ .
١٤. خليل مطران شاعر الأقطار العربية د / جمال الدين الرمادي
١٥. ديوان حافظ ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين – أحمـد الزيني – إبراهيم الابيارى الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٢٤
١٦. رسالة ماجستر الشعر السياسي في مصر من تـولي عرابـي الحرب الأولي محمد تليمه إشراف / سهير القلماوى ١٩٦٤
١٧. الرؤيا الإبداعية في شعر الهمشرى د / عبد العزيـز شـرف سلسلة اقرأ ديسمبر ١٩٨٠ .
١٨. الرؤيا الإبداعية في شعر صلاح عبد الصبور محمد الفـارس الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦ .
١٩. زكى مبارك ونقد الشعر كريمة زكي مبارك ط ١٩٨٧ الزهراء للإعلام والنشر .
٢٠. سمة الغنائية وزن القصيدة الشعرية الأصمعيات للأصمعي ت أحمد شاكر عبد السلام هارون دار المعارف ط ٤ .

٢١. شعراء الوطنية في مصر تراجمهم وشعرهم الوطني والمناسبات التي نظموا فيها قصائدهم عبد الرحمن الرفاعي الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٢ .
٢٢. شعر جميل الزهاوى رسالة ماجستير على عباس علوان إشراف د / عبد العزيز الأهوانى آداب القاهرة ١٩٦٥ .
٢٣. عن الأدب العربي المعاصر ومدارسه وأعلامه د / محمد أحمد العزب ٢٠٠٢
٢٤. فصول في الشعر ونقده شوقي ضيف ط ٣ دار المعارف .
٢٥. فلسفة الجمال عبد الفتاح الدبدى دار المعارف ١٩٧٨ .
٢٦. القصص الشعرية في الأدب المصري الحديث نشأتها وتطورها ودراستها الفنية حتى عام ١٩٤٥ رسالة ماجستير حسن عبد السميع محسن – طبعت فيما بعد وعنوان القصص الشعري محسن محمد .
٢٧. قضايا الشعر المعاصر ناز الملائكه بيروت ط ٦٢
٢٨. قضية الشعر الجديد محمد النويهي القاهرة ١٩٦٤
٢٩. اللامعقول في الأدب المعاصر يوسف الشاروني دار الكتاب العربي ١٩٦٩ .

٣٠. مجلة كلية دار العلوم قسم اللغة العربية مؤتمر اللغة العربية الثاني جـ ١ – ٢٠٠٥ .
٣١. مصطفى صادق الرافعى الناقض رسالة ماجستير/ طه عبد الرحيم عبد البر ١٩٦٩ .
٣٢. مقالة السرد القصصي في الشعر القديم هشام مشيال .
٣٣. نصوص من العصرين الأموي والعباسي د/محمد أحمد العزب ٢٠٠٢ .
٣٤. نظرية الأدب رينيه ريليك وأوستن وارين ت محي الدين صبحي مراجعة د / حسام الدين الخطيب المؤسسة العربية للدراسة والنشر ١٩٨٧ .
٣٥. نقد النقد ت سامى سويدان دار الشئون الثقافية ط٢ – ١٩٨٦.